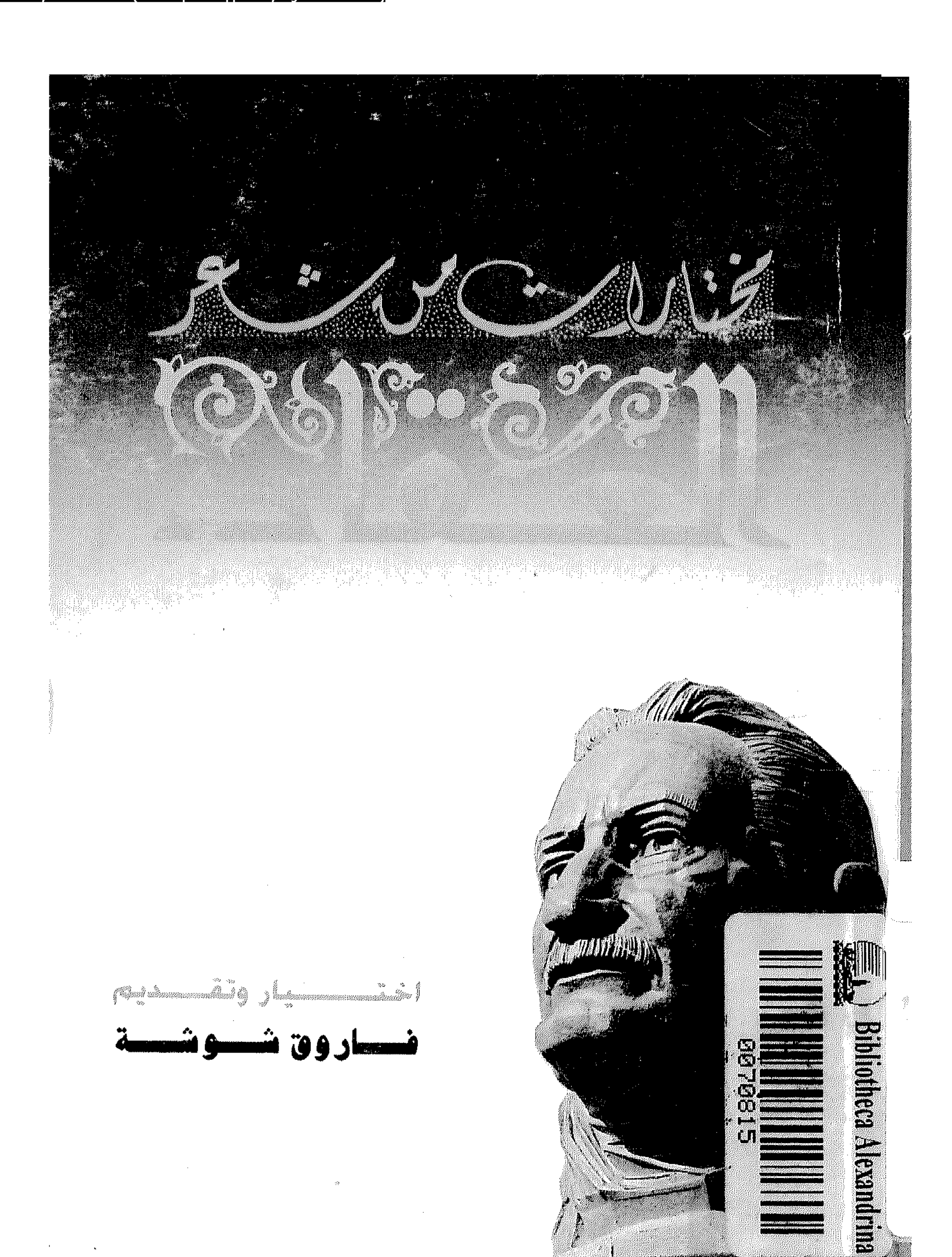


اختيار وتقديم

فاروق شوشة







مختارات من شعر العقاد

العقاد

تصميم الغلاف والإخراج الفنى
محمد بغدادى

رقم الإيداع : ٩٧/٢٢٠٣
الترقيم الدولى : 977-235-757-7

طبع بالمركز المصرى العربى ٥٨١٥٦٠٧

مختارات من شعر
العقاد

اختيار وتقديم
فاروق شوشة

الطبعة الأولى
....
١٩٩٦



شعر العقاد

حوار الصخر والنهر

بقلم : فـــاروق شـــوشـــة



شعر العقاد

حوار الصخر والنهر

بقلم : فاروق شوشة

بيننا ـ نحن قراء الشعر المعاصرين ـ وشعر العقاد مسافة واسعة. زاد من اتساع هذه المسافة العقادُ نفسه، بحرصه علي أن يكون وجهُ الكاتب فيه هو أهم وجوهه وأخطر تجلياته الإبداعية. كانت فكرة الكاتب، وتأثيره اليومي الفاعل في صياغة الأحداث وصنع التاريخ هي الشغل الشاغل للعقاد. وللبرهنة علي عظم هذه الفكرة وخطورتها دخل العقاد السجن، وواجه الأنظمة والحكومات، وتحمل صنوفا من العداء والقطيعة، لكنه ظل علي ولائه لمعني الكاتب الذي تتمثل فيه دوما معادلة الإرادة الانسانية والحرية. وطغي وجه العقاد الكاتب من خلال كتبه في السير والتراجم والعبقريات والتاريخ والفلسفة والعلوم والنقد الأدبي علي وجه الشاعر فيه، بالرغم من أن حجم إنجازه الشعري ـ المتمثل في أحد عشر ديوانا ـ يفوق حجم الإنجاز الشعري لأي شاعر عربي كبير من شعراء العصر الحديث، من غير أن ندخل في مقارنة تستهدف النوعية وحجم التأثير.

وزاد من اتساع هذه المسافة أن شعر العقاد وصل إلينا ـ نحن قراءه المعاصرين ـ في خضم موجات شعرية متتابعة، شديدة التلاحق والتأثير والقدرة علي تغيير الذائقة الشعرية بدءا بالكلاسيكية الجديدة التي أسس لها البارودي ونفخ فيها شوقي من روح شاعريته الفذة ووسع من آفاقها وقدراتها علي التحديث، بحيث أصبح نموذج شوقي هو النموذج الذي يستقطب جوهر شاعرية البارودي وإسماعيل صبري وحافظ إبراهيم وأضرابهم، وأصفي ما لديهم من خبرة شعرية وقدرة علي احتواء العصر شعريا.

في ظل سيطرة هذا النموذج الشوقي، لم يتح للذائقة الشعرية أن تتسع لشعر العقاد، أو أن تضعه في سياقه الصحيح من حركة التحديث الشعري. فقبل أن يتخلخل نموذج شوقي، كان شعر المهجريين المنهمر من الأمريكتين وممن تابعوهم من شعراء المشرق والمغرب العربيين، ثم كان شعر شعراء أبوللو ومغامراتهم الإبداعية من أجل تجلية النموذج الرومانسي للقصيدة العربية، وبعده نموذج قصيدة الشعر الجديد والعاصفة التي أثارها علي الحركة الشعرية العربية من حيث الحساسية والموقف والرؤية الشعرية، كان كل ذلك يباعد بين قراء الشعر وشعر العقاد، وكانت المسافة تتزايد باستمرار كلما أشرق فجر شعري جديد.

وزاد من اتساع هذه المسافة أخيرا، وربما أولا، أن شعر العقاد نفسه لم يكن كغيره من شعر معاصريه أو متابعيه، كان نموذجا يتحدي لدي متلقيه قدراته كاملة، وفي مقدمتها عقله ووعيه وفكره، وقدرته علي

التأمل والتجريد، ولم يكن هذا النموذج مسرفا في العاطفية كشعر الرومانسيين، ولا مسرفا في الجلبة والجهارة والعناية بالفخامة كنموذج شوقي وأضرابه، وليس هو شعر الحواس الظاهرة والقشرة الخارجية بقدر ما هو شعر المشاعر والعواطف العميقة، كان شعر اليقظة والوعي لا شعر الغيبوبة والحلم. وكان العقاد في هذا الشعر ـ كما وصفه مريده وتلميذه سيد قطب في كتاباته النقدية المبكرة عنه ـ شاعرا يعيش في وضح النهار. والوضوح الساطع صفة يمكن أن يباهي بها الكاتب، لكنها ليست مما يسعد به الشاعر الحقيقي.

يقول سيد قطب عن العقاد الشاعر في أحد فصول كتابه «كتب وشخصيات» وهو يتناول بالنقد والتحليل ديوان العقاد : «أعاصير مغرب» :

«في وضح النهار يعيش العقاد، صاحي الحس، واعي الذهن، حيّ الطبع، لا يهوّم إلا نادرا، ولا يتوه فيما وراء الوعي أبدا.

ومعالم الإحساس والتصور عند العقاد واضحة، وعلي رحابتها وانفساحها وعلي عمقها ودقتها يحدها إطار من الوعي المتيقظ، فلا تهيم في وديان مسحورة، ولا تنطلق في متاهات مجهولة.

علي أن للمجهول حسابه في نفس العقاد. ولكن هذا المجهول نفسه فكرة يحيط بها الوعي، ويدعو إلي فرضها العقل، وليس الإيمان بهذا المجهول توهانا روحيا ولا صوفية غامضة، إنما هو رحابة نفسية وفكرية.

ومن هذه الينابيع يتفجر شعر العقاد. فيكثر فيه تصوير الحالات النفسية وتسجيل الخواطر الفكرية، وإثبات التأملات المنطقية - إذا صح هذا التعبير - بقدر ما تقل فيه السبحات الهائمة والانطلاقات التائهة والظلال الشائعة، فكل شيء واضح وكل شيء له حدود ».

ثم يقول سيد قطب : «ويعوض شعر العقاد الجيد عن الرفرفة الطليقة تلك الحيوية المتدفقة، وعن الإيقاع المتموج تلك الحبكة الرصينة، وعن الانطلاق الهائم ذلك العمق الدقيق، وعن سبحات الصوفية التائهة صدق الحالات النفسية الواضحة.

ويبلغ العقاد قمته حين تبلغ الحيوية تدفقها فتجرف المنطق الواعي وتغطي عليه. فأما حين يضعف هذا التدفق، فيتجرد الشعر من اللحم والدم ويخيل إليك أن مكانه ليس هنا في الديوان، ولكنه هناك في كتبه بين التأملات الفكرية والقضايا المنطقية».

بل إن العقاد نفسه في تقديمه لديوانه «بعد الأعاصير» يهاجم قول القائلين : إن الشعر وجدان، وقد كان عبد الرحمن شكري - زميله في جماعة الديوان - هو الذي وضع هذا البيت علي غلاف الجزء الأول من ديوانه :

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدانُ

ومدخله لهذا الهجوم أن القائلين به يرون أن الشاعر لا يتأمل ولا يفكر، وإلا قيل في شعره إنه كلام لا يوحيه الوجدان. لكنه يلقي بسؤاله المباغت : أيّ وجدان؟ ويقول : إنهم لا يسألون هذا السؤال وهو ألزم

سؤال، فالإنسان الهمجي له ـ في رأيه ـ وجدان وله شعور. ولكنه وجدان كوجدان الحيوان، وشعوره لا يرتقي إلي طبقة التعبير الجميل أو غير الجميل.

والإنسان الصوفي له وجدان وشعور، ولكنه إذا عبر عن وجدانه وشعوره دق تعبيره علي عقول الكثيرين أو الأكثرين. وهو يفرق في تحديد قاطع بين الإحساس والترقق، وينبه إلي سخافة شائعة في مصر والشرق بين أدعياء الإحساس ـ ممن لا يحسون ولا يفكرون ـ وهي اعتقادهم بأن الإحساس والترقق مترادفان، ويوشك أن يموت الإنسان عندهم من فرط الإحساس، لأنه يحس في زعمهم بمقدار ما يتراخي ويتخاذل ويئن وينوح.

ويخلص العقاد من كل هذا الجدل التحديدات المنطقية حول مفهومه للوجدان إلي أن الفن والأدب وجدان ولكنه وجدان إنسان، ولن يكمل الإنسان بغير ارتفاع في طبقة الحس وارتفاع في طبقة التفكير، والتمام في مزاياه الإنسانية أن يتم له الحس ويتم له التفكير.

من هنا فقد استقر في روع قراء العقاد، أن شعره شعر الفكرة لا شعر التجربة ـ بالمعني الرومانسي ـ، شعر الخاطرة التي تصل بالجزئي إلي الكلي، وتعبر المسافة بين المحدود واللامحدود، وتقبع في المسافة بين العَرَض الظاهر والجوهر الخبيء وتلعب علي الجدل بين المتناقضات ـ مجال الولع الشديد عند العقاد ـ بمنطقه وقدرته علي الجدل والمحاجّة.

ولن نجد تصورا يقربنا من النموذج العقادي في الشعر، كالذي نجده في حديث العقاد نفسه عما يسميه «الموضوعات الشعرية» في تقديمه لديوانه : «عابر سبيل» وهو الديوان الذي يستحق منا ـ نحن قراء شعر العقاد المعاصرين ـ كل الاهتمام والحفاوة لأنه يضم بين دفتيه جوهر شعر العقاد وخصوصيته المتميزة في الإبداع الشعري. فهو الديوان الذي يكشف لنا عن وعي العقاد بما هو شعري، وعن تجاوزه لما يسمي بالمعجم الشعري بالمعني الذي أكثر الرومانسيون الغربيون ونقادهم من الحديث عنه في كتاباتهم، وهي كتابات تتبني جميعها فكرة أن الشعر تعبير عن المشاعر.

فالعقاد يري أن إحساسنا بشيء من الأشياء هو الذي يخلق فيه اللذة ويبث فيه الروح ويجعله معني شعريا تهتز له النفس أو معني زريًا تصرف عنه الأنظار وتعرض عنه الأسماع، وكل شيء فيه شعر إذا كانت فينا حياة أو كان فينا نحوه شعور.

ويري أن كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبث فيه من هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر، لأنه حياة وموضوع للحياة.

ويفجر العقاد ثورته الشعرية الكبري في ديوانه «عابر سبيل» عندما يقرر أن «عابر سبيل» يري شعرا في كل مكان إذا أراد : يراه في البيت الذي يسكنه وفي الطريق الذي يعبره كل يوم، وفي الدكاكين المعروضة، وفي السيارة التي تحسب من أدوات المعيشة اليومية ولا تحسب من

دواعي الفن والتخيل لأنها كلها تمتزج بالحياة الإنسانية، وكل ما يمتزج بالحياة الإنسانية فهو ممتزج بالشعور صالح للتعبير، واجد عند التعبير عنه صدى مجيبا في خواطر الناس.

وفي رأي العقاد أننا ـ نحن أبناء العصر الحاضر ـ في حاجة إلي هذا التوجيه لإنقاذ النفس الإنسانية، لا لإنقاذ الملكة الفنية وحدها، فإننا إذا تعوّدنا العناية بالأشياء وجدنا فيها ما يستحق العناية وينفض عن النفس تلك التفاهة التي غلبت علي الحياة وعلي الشعر والفن في هذه الأيام الحديثة.

أكان العقاد ـ في نبوءته هذه ـ علي وعي بما سيئول إليه حالنا، بعد رحيله عن عالمنا باثنين وثلاثين عاما ؟

لقد حقق العقاد في ديوانه «عابر سبيل» ما سبق أن دعا إليه وردزورث في رفضه للمعجم الشعري الذي كان سائدا في زمانه، والذي يفرق بين لغة الشعر ولغة النثر. وتبني العقاد لغة شعرية هي لغة الناس البسطاء، التي نجدها أوضح ما تكون في قصيدته «أصداء الشارع» التي يقول فيها :

بنو جرجا ينادون علي تفاح أمريكا
وإسرائيل لا يألوك تعريبا وتتريكا
وبتراكي إلي الجود علي الإسلام يدعوكا
وفي كفيه أوراق بكسب المال تغريكا
وأقزام من اليابان بالفصحي تحييكا

وإن لا تكن الفصحي فبالإيماء تغنيكا

قريب كلها الدنيا كرجع الصوت من فيكا

دعا الداعي فلبّوه طغاة وصعاليكا

إذا ناديت يا دينار من ذا لا يلبيكا

فما في الناس هذاك ولا في الأرض هاتيكا

وهي لغة شعرية تذكرنا بالصدمة التي أحسها بعض الناس عند قراءة النماذج الشعرية الأولي في حركة الشعر الجديد، ولجوء بعض رواد هذه الحركة الشعرية إلي لغة بسيطة عارية من الزخرفة والبلاغة، لغة تتسم بالواقعية الشديدة والبعد عن تهاويل الرومانسية وجلجلة الكلاسيكية وصخبها.. وهي اللغة التي تمثلها صلاح عبد الصبور في قصيدته «الحزن» إحدى قصائد ديوانه الأول «الناس فى بلادي» وهو يقول :

يا صاحبي إني حزين

طلع الصباح، فما ابتسمت، ولم ينر وجهي الصباح

وخرجت من جوف المدينة أطلب الرزق المتاح

فشربْتُ شايا في الطريق

ورتقت نعلي

ولعبت بالنَّردِ الموزع بين كفي والصديق

قل ساعةً أو ساعتين

قل عشرة أو عشرتين

وبهذا المعني، يكون العقاد سابقا لرواد الشعر الجديد ـ في تبني هذه اللغة الشعرية ـ بأكثر من عشرين عاما ـ فقد ظهر ديوان عابر سبيل في طبعته الأولي عام ١٩٣٧ ـ ولا يتركنا العقاد حتي يعود إلي تأكيد فكرته التي تمثل جوهر ثورته الشعرية وبلورتها علي هذه الصورة الشديدة التركيز وهو يقول في الصفحة الأخيرة من ديوان «عابر سبيل»:

«الفكرة في ديوان عابر سبيل هي أن مشاهد الحياة وعظات الأيام علي متناول اليد من كل إنسان إذا شاء أن يدير إليها عينيه، وأنه يستطيع أن يخلع الحياة الإنسانية علي ما حوله فإذا هو في جيش لجب من الخواطر والبدوات والخوالج والأحاسيس : عالم محشود في البيت وفي الدكان وفي الطريق وفي حيثما كان عابر سبيل».

والغريب أن هذه اللغة التي اصطنعها العقاد في «عابر سبيل» وفي غيره من دواوينه الشعرية من بعده، لم تنجح في تحريض الناس علي مقاربة شعره، أو التعامل معه، وظلت الفكرة الشائعة عن شعر العقاد والتي تدور في فلك الصعوبة والوعورة والحوشية والتعقيد هي المسيطرة، وظل الذوق الأدبي العام ينظر إلي شعر العقاد باعتباره امتدادا لدراساته في كتبه، وجها من وجوه تجلياته الفكرية، ونزعاته التأملية وولعه بالمنطق والجدل. وكان العقاد نفسه يحرض علي مثل هذا الفهم الخاطيء حين يقول في مقدمة ديوانه «بعد الأعاصير» :

«والحقيقة التي ينبغي أن نحفرها في أخلادنا هي أن الأدب الرفيع لم يخل قط من عنصر التفكير، وأن الشاهد علي ذلك أدب التحول بين

شعراء الأمم العالميين ومنهم أمثال شكسبير وجيتي والخيام وأبو الطيب.

ونخص الشعراء بالذكر لأن صدق هذه الملاحظة عليهم يجعلها أقمن بالصدق علي الأدباء الناثرين.

فأغاني شكسبير مثلا سلسلة من الأفكار التي يمتزج فيها الفهم بالشعور، ودع عنك قصائده التي نظمها في الروايات أو أجراها علي ألسنة الرجال والنساء، فإن شعر «الأغاني» أحق شعر أن يقصر علي «الوجدان» إذا صح ما يفهمه بعضهم من الأغراض الوجدانية وخلوها من التفكير.

وقصة فاوست الكبري - وهي أعظم أعمال جيتي - هي فلسفة الحياة والبقاء، وفلسفة الخير والشر، وفلسفة المعرفة والضمير، وليس فهمها بأيسر من فهم قضايا المنطق ومعادلات الرياضة والكيمياء.

ورباعيات الخيام يصحّ أن تسمي «فكر الخيام» لأن الرباعية منها تدور علي فكرة أو خلاصة أفكار، ولا يمنعها الشعور أن تكون شعور إنسان من المفكرين.

والحكم علي المتنبي ميسر لمن يقرأ العربية وحدها ولا يقرأ غيرها من اللغات، وليس في قصائده قصيدة واحدة يقول القائل إنه أهمل الفكر فيها، وإنها وجدان بغير تفكير.

فمن أمثلة ذلك القضية التي صاغها في بيت من الشعر حيث يقول :

وإذا لم يكن من الموت بـد   فمن العجز أن تكون جبانا

أو القضية التي صاغها في هذا البيت :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كاملُ

أو هذه التقسيمات الوافية التي يقول فيها :

تصفو الحياة لجاهل أو غافلٍ عما مضى منها وما يتوقعُ

ولمن يغالط في الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمعُ

ثم يقول العقاد معقبا علي البيتين الأخيرين من شعر المتنبى :

فإن التفكير إذا ذهب في هذا المعني إلي غايته لم يأت فيه بمزيد بعد الجهل والغفلة والمغالطة في الحقائق، ولم يأت بشرح للغفلة أتم من الغفلة عن الماضي والمتوقع، ولا بشرح لمغالطة النفس في الحقائق أتم من تمادي المغالطة إلي الطمع في المحال».

العقاد إذن تشغله القضية أو القضايا في الشعر، وكيف تصاغ القضية في بيت واحد من الشعر، وهي التي تشغل منه - كاتبا - العديد من الصفحات لو أراد. كما تشغله التقسيمات الوافية التي تشير إلي منطق صارم وقدرة علي الجدل، وهي التقسيمات التي جعلت بعض خصوم العقاد - الكاتب - يقولون عنه إنه كاتب يلعب بالبيضة والحجر، وإنه يستطيع أن يقول اليوم ما يهدمه غدا، وهو في الحالين قادر علي استخدام الحجة والمنطق. والعقاد حسن الظن بقزاء شعره، شديد التقدير لوعيهم وقدرتهم، فهم ليسوا من العامة المسفين في الذوق والفهم - بالغةً ما بلغت الجرأة والادعاء ببعض الزاعمين - لأن العامة المسفّين لا يقرأون ما يصعب فهمه - أي شعره - علي الذين يدّعون الخبرة بالنقد والبصر والكلام، وهو المأخذ الذي يردده «الخبراء الألباء» كلما عرضوا لشعر صاحب الديوان.

والعقاد إذن علي بينة بمن يهاجمون شعره ويتقولون عليه بغير حقيقته، مدرك للمأخذ الذي يأخذه عليه من يسميهم - من باب السخرية والتهكم - بالخبراء الألباء، وهو صعوبة الفهم وعسر التناول وبعد الغاية. لكن هذا الاعتراف أو شبهته من العقاد لا تجعلنا نمضي مع هؤلاء الألباء إلي حد نفي الشاعرية كلية عن العقاد كما حاول بعضهم، ولا إلي تبني الموقف النقيض عند الآخرين الذين نادوا بالعقاد أميرا للشعر والشعراء بعد رحيل شوقي. فكلا الموقفين يبعدنا عن حقيقة العقاد الشعرية.

هل معني هذا أننا لن نجد شعرا للعقاد كالذي اعتدناه من شعراء العاطفة والخيال والتدفق الشعري؟ وهل خلا شعره من حديث الحب ومجالي الطبيعة وصبوات القلب وجموح الريشة المصورة، وهو الشعر الذي تهزنا وفرته عند شعراء أبوللو : إبراهيم ناجي ومحمود حسن اسماعيل وعلي محمود طه وأبي القاسم الشابي، كما نجده غزيرا في شعر المهجريين من أمثال إيليا أبي ماضي وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة - أقربهم إلي روح العقاد الشعرية؟

الإجابة أن الأمر علي عكس ذلك تماما!

فمساحة كبيرة من شعر العقاد تكاد تجعل منه شاعرا رومانسيا، يشبه شعره المهجريين، ويحلق معهم في آفاقهم ويسبقهم في الريادة والاكتشاف. لكن الحب عنده يظل مختلفا، في المعني والدلالة :

غـريرة تسـأل مـا الحب؟
بُنيّـتـي : هذا هو الحب :

الحب أن أبصـــر مــــا لا يري ... أو أغــمض العيْن فــلا أبصــرا

وأن أســيغ الحق مــا ســرنى ... فــإن أبى، فــالكذب المفــترى

الحب أن أســأل مــا بالـهم ... لم يعـشــقــوا المنظر والمخــبـرا

ويســأل الخــالون : مــا باله ... هام بهــا بَهّــراً ومــا فكرا

وقوله :

بُنّيـــتى ، هذا هو الحبُ

فــهـمـتــه ؟ كـلا ولا عـتْبُ

مــســألة أســهلهــا صــعبُ

لا النـاس تدر بـهـــا ولا الـكـتبُ

حــسـبك منهــا لو شَـفَتْ حــسْبُ

إشـــــارة دق لـهـــــا الـقـلـبُ

وهي قصيدة تطالعها كاملة ضمن هذه المختارات.

وشعر العقاد هو وحده ـ من بين كل آثاره القلمية ـ الذي يكشف لنا عن ضعفه الإنساني، ويجعلنا ننسي صورة «السوبرمان» أو «الرجل الخارق» التي نخرج بها من سائر كتاباته، صورة تتشكل من عناصر العناد والإصرار والكبرياء والتحدي والشعور بالزهو والتفوق والاستعلاء علي الآخرين. أما العقاد في شعره فهو كائن شديد الهشاشة لفرط حساسيته واتقاد مشاعره ورهافة وجدانه، تنوشه الظنون ويقلق كما يقلق الناس ويبكي بكاء الطفل الذليل ويغص بالماء الذي أعده للري، ويتقلب

في نيران الجحيم ويتمني لو باع حظه كله بساعة واحدة ينسي بها عمره فكأنه لم يولد :

يوم الظنون صدعتُ فيك تجلدي
وحملت فيك الضيم مغلول اليدِ
وبكيت كالطفل الذليل، أنا الذي
مالان في صعب الحوادث مقودي
وغصصت بالماء الذي أعددته
للريّ، في قفر الحياة المجهدِ

وهناك من يري أن هذه القصيدة، يوم الظنون» هي من بدائع العقاد الشعرية، وشاهد علي حقيقة شاعريته، بل إنها عروس قصائده علي الإطلاق. وهو افتنان بشعر العقاد ليس بالمستغرب علي تلامذته ومريديه والراغبين في إنصافه شعريا، وقد يبالغ بعض هؤلاء فيفردون لقصيدة العقاد في رثاء «مي» موقعا يتقدم قصيدته «يوم الظنون»، ومنهم من يري أن قصيدته عن «الكروان» التي ضمها ديوان «هدية الكروان» هي الأولي بالتقديم والإشادة.

وفي هذه المختارات من دواوين العقاد، نطالع بكائيتين للعقاد تمثلان أصدق شعره عاطفة وحرارة في مجال بكاء الأحباء ووداعهم. إحداهما في وداع «مي» التي شغفت عددا من كبار أدباء ومبدعي زمانها حبا وولهًا، واستطاعت أن تقنع كلا منهم بأنه ـ وحده ـ المقرب الأثير، وكان العقاد في مقدمة هؤلاء. والثانية في وداع «بيجو» كلب العقاد الأثير،

اللصيق بوجدانه وقلبه. ومن الإنسان إلي الحيوان يرقي العقاد في إبداعه الشعري، وفي تعبيره عن مشاعر اللوعة والفقد، إلي ذروة بعيدة سامقة، لا نألفها كثيرا في شعرنا العربي. والبكاء عند العقاد ممتزج كعادته بالفكر والتأمل، والارتفاع عن الموقف المحدود إلي المعني الكلي والرؤية الفسيحة الشاملة. ها هو ذا العقاد وجها لوجه مع الموت، يواجهه ويستصرخه ويثور عليه، ويحقد علي التراب الذي يضم وديعتين غاليتين، وروحين نادرتي المثال :

كل هذا فى التراب .. آه من هذا التراب !

ولا يفوته أن يسترجع مخزونه الثقافي والنفسي عن الحيوان عامة والكلب خاصة، ويستحضر ـ بشاعريته ـ قطمير، الكلب الذي صحب أهل الكهف وارتبط اسمه بهم، وكل الكلاب في رأي العقاد ـ والذين هم علي شاكلة بيجو محبة ووفاء وذكاء ورهافة شعور ـ هم آل قطمير، المذكرون به وبأسطورته في النبل والوفاء :

يا آل قطمير هواكم عجيب

إن ثمة خزانا للدمع يمتليء به وجدان العقاد، وينهمر في بكائياته شاعرية دامعة، ومشاركة أسيانة، وضعفا إنسانيا مرتطما بالقدر، ومتصلبا في مواجهته وتحديه.. وهي الثنائية التي مثلها العقاد دوما باعتباره تجسيدا لحوار الصخر والنهر في مهاد نشأته الأولى : أسوان، حيث يشمخ الجرانيت والصوان في عناق النهر المتدفق، المتليء بالجنادل والصخور. هذه الثنائية التي نطالعها في تجليات شعره : انسيابَ رقةٍ

ووعورةَ خشونة، نزقَ طفولة وحكمةَ كهولة، اندفاع عاطفة وروية عقل وفكر، رضًا يتسع فيحتوي العالم وغضبا يشتعل معلنا عن رغبة في تدمير الكون - هي التي أودعت شعره هذه الفصول المختلفة من الطقس النفسي والفني، وأغنت رحلته مع الشعر بحصاد من التجارب المتميزة، والأصداء النادرة والمعالم الفريدة.

أليس هو القائل في تقديم شعره لقارئه مؤكدا هذه الثنائية :

هذا كتابى في يد القراءِ

ينزل فى بحر بلا انتهاءِ

فيه من الحكمة والغباءِ

وفيه من يأس ومن رجاءِ

وفيه من حب ومن بغضاءِ

وفيه من صمت ومن ضوضاءِ

صورة مَحْيايَ لعين الرائى

فليلْقَ بين القدح والثناءِ

ما شاءت الدنيا من الجزاءِ

وشيئا فشيئا سينحسر عنا وجه العقاد : الكاتب الموسوعى، لأن عصر التخصص وثورة المعلوماتية والانفجار المعرفي يتجاوز العقاد - فيما تناوله في كتاباته - بكثير. فلم تعد آراؤه في النبات أو الحيوان أو الفلك أو الطبيعة أو التاريخ - مثلا - صالحة للاستمرار أو مخاطبة الحاضر والمستقبل. ولم تعد وفرة اهتمامه - بالكتابة في كل شيء - تَشُدُّهُ

القاريء المعاصر الذي يسعي إلي التخصص الضيق والتناول العميق..
ولن يبقي من العقاد إلا شعره، خطابا إبداعيا يتجه إلي قاريء كائن وقاريء لم يوجد بعد. وستبقي في هذا الشعر صورة العقاد الحقيقية ـ إذا أخذنا بنظرية المرايا واعتبرنا الشعر مرآة للشاعر أو صورة لبيئته وعصره وزمانه، وجهده الإبداعي المستمر من أجل البرهنة علي مفاهيم جديدة للشعر دعا لها منذ صيحته الأولي في كتاب الديوان الذي أصدره بالاشتراك مع زميله في رحلة الحياة والفكر : إبراهيم عبدالقادر المازني، فى عام ١٩٢١، ثم عاد إلي تأكيدها وبلورتها في كتابه «شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضى» عام ١٩٣٧، ولم يفته أن يشير إليها في مقدمات دواوينه الشعرية، بل وفي تقديمه للجزء الثاني من ديوان عبدالرحمن شكري. وقد يري البعض أن المسافة شاسعة بين ما نادي به العقاد من فكر وتنظير وما أنجزه من إبداع شعري وأنه في كثير من جوانب هذا الإبداع لم ينجح في التحرر من أسر النموذج الشوقي فجاءت بعض قصائده علي غرار قصائد شوقي من حيث التناول والصيغة وإن لم تَرْقَ إلي أفقه الكلاسيكي فخامة وروعة بناء.

نعم، سيبقى العقاد الشاعر أضعاف بقاء العقاد الكاتب. وسيبقى إبداعه الشعري المتميز، يجتذب مريديه وعاشقي فنه، ونموذجه الشعري، وجمهرة أخري يتملكها الفضول، فتقترب من تخوم هذا العالم الثريّ المتميز تحاول أن تكون من وارديه.

وهذه المختارات ـ من دواوين العقاد ـ محاولة لفتح الباب أمام قراء هذا الجيل ليعرفوا العقاد الشاعر علي حقيقته، وليقتربوا من نماذجه الجميلة وإبداعه الباقي، وليصافحوا فيه لغة غير تلك التي عرفوها عنه في دراساته وترجماته وعبقرياته، ندّية بماء الشعر، مشتعلة بصهد الحياة ووقدها اللافح، مبتلة ـ في أحايين كثيرة ـ بانهمار الدموع.

لقد كان العقاد يري ـ كما سجل في تقديمه لديوانه الأول ـ أن الشعر يعمق الحياة، فيجعل الساعة من العمر ساعات : «عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التي يعرض عنها سواك ممتزجة طويتك بطويته الكبيرة، تكن قد عشت ما في وسع الإنسان أن يعيش، وملأت حقيبتك من أجود صنف من الوقت ...».

فلنملأ ساعات العمر بمثل هذا الشعر العميق البديع، نغنم أعمارا من المتعة والبهجة، والنشوة الرفيعة، تضاف إلي الأجل المحدود.

فاروق شوشة

مختارات من شعر العقاد

العقاد



الإهداء

إيه يا من أوحت الشعر وخانت شاعرَهْ

لك أهديه لِوَحيك

* * *

إيه يا من ليس يُوحيه ويمسي ذاكرَهْ

لك أهديه لرغيك

* * *

هكذا أبرأ في الحالين من حَمْد خيانة

وأصونُ العهد ممن رام شعري بصيانة

وأداري حيْرتي خافيةً أو ظاهرة!

غزل ومناجاة

ارتحال المنى

منِّنى أطيب المنى يا حبيبي   فالمنى وحدهن منك نصيبي
إن يَفتنا منالها لم تفتنا   نظرة من خيالها المرقوب[1]

* * *

منِّني، بل دع المنى يا حبيبى   فشقائي في الموعد المكذوب
هان فقد المنى التي لم تَعِدنا   وافتقاد الموعودِ جدُّ صعيبِ

* * *

أعطني! أعطني إذن يا حبيبي   غيرَ ما ناكث ولا مستجيبِ[2]
أعطني صفوك ارتجالا ودعنا   من مطال بالوعد أو تقريب[3]
فارتجال المنى أحبُّ لنفس   شبعت من رويّة التجريب[4]

(١) المرقوب : المأمول والمنتظر.
(٢) الناكث : من يخلف وعده.
(٣) المطال : التسويف والتأجيل.
(٤) الروية : الحكمة والنضج والخبرة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أغنيات

هذه الأغانى نظمت لتنشدها المطربة «نادرة» في رواية من روايات الصور المتحركة حسب المواقف التي تعرض لأبطالها، وهذه الأغنية التالية تنشد في زورق يجري علي النيل عند القناطر الخيرية تحت أشجار الصفصاف التي تطل علي الشاطيء، وفي الزورق المحبان يتناجيان، والحبيبة تنشد :

في الهوى قلبي زورقٌ يجري
أين يمضي بي نهره الخمري
ليتني أدري

***

ليته يجري يا أبا الأنهار
مثلما تسري في حِمَى الأقدار
حولك الأزهار

***

حولك الصفصاف مسبل الشعر
ناعس الأطياف سابح الفكر
في الهوى السحري

***

يـــا ريـــاض الـــنـــيــل عـــلّـــمـــي قـــلـــبـــي
فـــرحـــة الـتـــهـليـل عــــــــشت لـلـحـب
يـا مـنـى الـصـب
****

قـــــــال لـي قـلـبـي والـهــــــوى يـرعــــــباه
هـو فـي قــــــــربـي مـــا الـذي أخـــشـــاه
عـنـدمـــا ألـقـــاه
****

أمسية على النيل

وهذه الأغنية تنشد على شاطئ النيل بعد الغروب

يا حبيبي أنت ريٌ ليس في الماء نظيره
يا حبيبي أنت ظل ليس للروض عبيره

* * *

يا حبيبي أنت بدر أين نور البدر منه؟
أين نور زانه الحب ونور لم يزنه؟

* * *

أنت عندي كل شيء! كل ما شئت يكون
قل لهذا الليل يبقى ومع الليل السكون

* * *

قل له فهو نجيٌ مرهف السمع إلينا
كيف يَعْصي لك أمرا والهوى طوع يدينا

* * *

الزوجة المهجورة
يوم ميلادها

وهذه الأغنية تنشدها الزوجة التي هجرها زوجها يوم ميلادها ولم يرض أن يلازمها في المنزل ليشاركها في الاحتفاء بهذا اليوم :

مــــولدي يــوم شـــــقـــــائي   مــــات فــي المهــــد رجـــائي

لـيـس فــي قـلـبـي عـــــــزاءُ   أيـن فـي الدنيـــــا عـــزائي!

أحــــسـب البــــدر ظلامـــــا   وهــو مـــصـــبـــاح الـســمـــاءِ

لاح فــي الأُفــق وحــــيـــــدا   ومــن الــوحـــــــــــدة دائــي

كـم أرانــي الـنـور حـــــــزنـا   كـــان فـي طـيّ الخـــفـــاءِ

إغــواء

وهذه الأغنية تنشدها بطلة الرواية على مسمع من صاحبها لتوحي إليه أنه هو المقصود بحبها وغنائها، وقد كان يجهل ذلك :

هـل درى مـن أحـــبـــه ... أين فـي الحب مطمــعى؟

هـل مـــعي الآن قـلبــه ... مـثلمـا سـمـعـه مـعي؟!

* * *

هـــل أراه بـــنـــاظـــري ... أم أرى الطيف بـالرجـــاء

ربمـــا بـــات زائـــري ... وهو فـي البـعـد كـالسـمـاء

* * *

لـيتــه يكشف الضـمـيـر! ... لـيـــتني بـالهـــوى أبـوح!

فـاكـشف الروض يا عـبـيـر ... إنَّ عطـر الهـــوى يفـــوح

* * *

شـــرعـــة القلب شـــرعــتي ... مـا احـتـيـاجي إلى شـفـيع

إن تـسلني فــــحــــجــــتي ... فـــي يـدي - زهـرة الـربـيـع

في ساعة انتظار

يا ساعة الصفو غبت عني   وحيَّرتْ لوعتي خطاك
تائهة أنت في طريقي   هداك نور الهوى هداك

***

أبطأت يا ساعة التمني   وموعد الملتقى قريب
هل يبطيء البين لوسعى لي   كما سعى موعد الحبيب

***

أصبحت في لهفتي عليه   أنتظر الليل بالنهار
طال انتظاري له فماذا   في الغيب يا ليلُ بانتظاري

***

الصدار الذي نسجته

هنا مكان صدارك هنا هنا في جوارك

* * *

هنا هنا عند قلبي يكاد يلمس حبي
وفيه منك دليل على المودة حسبي

* * *

ألم أنلْ منك فكرة في كل شكة إبرةْ
وكل عقدة خيطٍ وكل جرة بكرة!

* * *

هنا مكان صدارك هنا هنا في جوارك
والقلب فيه أسير مطوّق بحصارك!

* * *

هذا الصدار رقيب على الفؤاد قريب
سلنيه : هل مرَّ منه إليَّ طيف غريب؟

* * *

نسجته بيديك على هدى ناظريك
إذا احتواني فإني ما زلتُ في إصبعيك

قولي مع السلامة

نعم مع السلامة والحب والكرامة

***

حديثك الممتع لي

من ثغرك المقبَّل

وأنت لي في منزلي

وشيكةٌ أن تخجلي

من قبلة حَرَّى إلى لغو إلى ابتسامة

ولا تقولي عندها لا. لا. مع السلامة

حتى إلى القيامة

***

أما إذا مِسرَّتي

نادتك يا حبيبتي

فاستمعي تحيتي

ثم «اسألي عن ليلتي»

ثم اضـحكي وسلسلي
ضـحكتك النّغـامـة

فـــإن أطلت بعـــدها فـــهـــذه عـــلامـــة
قـــولي مع الســـلامـــة قـــولي مع الســـلامـــة

هذا هو الحب!

غريرةٌ تسأل : ما الحب؟
بُنيتي ! هذا هو الحب!

الحب أن أبصر ما لا يُري ... أو أغمض العين فلا أبصرا
وأن أسيغَ الحق ما سرَّني ... فإنْ أبى، فالكَذِب المفترى

* * *

الحب أن أسأل : ما بالهم ... لم يعشقوا المنظر والمخبرا؟
ويسأل الخالون ما باله ... هام بها بهْراً وما فكَّرا؟[1]

* * *

الحب أن أفرق من نملة ... حيناً، وقد أصرعُ ليثَ الشَّرى[2]
وأن أراني تارةً مقبلا ... وخطوتي تمشي بيَ القهقرى

* * *

(١) بهرا : انبهارا وإعجابا.
(٢) أفرق : أخاف وأفزع.

الحب كـالخمـر فـإن قـيـل لي سَكرتَ؟ هَمَّ القلبُ أن يُنْكِرا
وكلّ عـضـو بعـده قـائل نعم، ولا أحـفل أن أسكرا

* * *

الحب أن يَفْـرِقَ أعـمـارنا عـهدان، والعـهـد وثيق العُرَى
أخـسبني الأكـبـر حـتى إذا عـانقتني ألفيتني الأصْغَرا[1]

* * *

الحب أن نصـعـد فـوق الذرى والحب أن نهـبط تحت الثـرى
والحـب أن نـؤثـر لـذاتـنـا وأن نـرى آلامـنـا آثـرا

* * *

الحب أن أجـمـع فـي لحظة جـهـنم الحـمـراءَ والكوثرا[2]
وإنني أخطيءُ في لهـفـتي مَنْ منهـمـا رَوَّى ومَنْ سعَّرا[3]

* * *

الحب أن يمضي عـام ومـا همـمت أن انظم أو اشـعـرا
وربما علّقت في سـاعـةٍ حـواشي الدفـتـر والأسطرا

(١) ألفيتني : وجدتني.
(٢) الكوثر : نهر في الجنة.
(٣) سعّرا : أشعل اللهيب وأيقظ العطش.

بُنيَّتي! هذا هو الحبُ

فَهِمْتِه؟ كلا. ولا عَتْبُ!

مسألةٌ أسهلها صعب

لا الناس تدريها ولا الكتبُ

حسبك منها، لو شَفَتْ حسبُ

إشارةٌ دق لها القلبَ

عدنا والتقينا

التقينا

والتقينا!

عجباً كيف صحونا ذات يوم فالتقينا

بعد ما فرّق قُطرانِ وجيشانِ يدينا[1]

فتصافحنا بجسمينا وعدنا فالتقينا

بعد عصر!

أي عصر؟

والنوى تجري وسر الحب في الأكوان يجري

ثم نادانا تعالوا فاهبطوها أرض مصر

قضي الأمر كما شاء، وعدنا فالتقينا

* * *

كم بكيتِ

واشتكيتِ

(١) كان الشاعر قد ترك مصر إلي السودان عندما تقدم جيش روميل الألماني من حدود مصر ـ أثناء الحرب العالمية الثانية ـ وهذه القصيدة تنبض بمشاعره بعد العودة إلي الوطن.

ثم أُلهـمتِ على الغـيب فـأصـغـينا وقلتِ
قلتِ في السابع والعاشر من شهر سيأتيْ
ها هنا سوف تراني، فـرأينا والتـقـينا

****

يوم ذكرى
ذاك أحرى
بالتقاءٍ كلما دار به الحول وأسرى
في سماء تعبر الشعرى وتدني كل شعرى[1]
كيف يلقانا وحيدين غدٌ فيه التقينا

****

قبل عام
ثم عام
كان يوم، أيّ يوم، في صفاء وابتسام،
يوم لاقى الحب لحظينا على عهد الدوام
فتعاهدنا وقلنا : كلما عاد التقينا

****

(١) الشِّعرى : كوكب مضيء يظهر عند شدة الحر.

وتداني

وكلانا

زائغ الطرف يناجي قلبـــــاً ولســـــاناً

ثم مـــاذا ؟ ثم كن يا بُعْـــد لي قـــربا ، فكانا

واســتــعـــان الحب بالداء حليـفــاً فــالتــقــينا

***

كم غرام

وســقام

عـــرفـــا الحلف غلى غـــيـــر ســـلام ووئام

فـإذا مـا اجـتـمـعـا فـانتـزعـاني من مـقـامي

فــبـحـسـبي منهـمـا أنا شكونا فـالتـقـينا

***

يا فتاتي

يا حياتي

لا تراعي بعـــد هذا من فـــراق أو فـــوات

قَـــدَرُ الله كـــفـــيل لك في مـــاض وآت

كلمـــا فـــرّق شـــملينا دعـــانا فـــالتـــقـــينا

***

جمال يتجدد

كلما قلتَ لي الربيع جميلٌ   قلتُ : حقاً، وزاد عندي جمالا

عجباً لي، بل العجيبة عندي   صور الكون كم يسعن كمالا

خلْتني قد وعيتهن عِياناً   وتتبعت من وَعَوْها خيالا

شاعراً عاشقاً وقارىءَ كتْبٍ   قرأ الكتب دارساً، فأطالا

فإذا نظرةٌ بلحظك تبدي   صوراً ما طرقن عنديَ بالا

بِعِدادِ الانوار في أعين الحب   نعد الأكوان والأجيالا

القُبلة

هي كـأس مِن كـؤس الخـالـدينْ ... لم يَشُـبهـا المزج من مـاء وطين

كلمـا أُفـرغـتَـهـا منتـشـيـاً ... مُلئتْ من كـوثـر الخلد المعين[١]

وإذا أمــتــعك الريّ بهـــا ... بدأ الشـــوق إليـــهـــا والحنين

قــد شــربناها مــعــاً في ليلنا ... فَـرَوِينا، وافـتــرقنا ظامـئين!

(١) المعين : الظاهر الذى تطالعه العين وتراه.

حسرة متلفة

يـــا لــــه مــــن فــــمٍ يا لهـــا من شــفــــة !

يا لشَـــهـــــد بهــــا كـــدت أن أرشـــفــــه

يـا لـزهـز بـهـــــــا كـــدت أن أقـطـفــــه

حلوةٌ ويـحـــــهـــــا! غـــضـــة مـــرهَفَـــة

حـــســـرتي بعــــدها حـــســـرةٌ مـــتلفـــة

الجسم الضاحك

ثغرك الضاحك، لا بل وجهـــ ـك الضاحك، لا بل كل جسمكْ

لا بـل الـدنـيـــــا الـتـي تـو مض نـوراً حـــول نجـــمكْ

هكذا فـليـــبــــسم البـــا سم إن شـــاء كـــبــســمكْ

أو فَـــيَـنسـى البِـــشْـرَ حـتـى ينقل البـــشْـــر، بلثـــمكْ

لا يـلام الـعـــابس اليـــا ئـس إلا بـعـــــد لـومـكْ

بعد عام

كـــاد يمضي العـــام يا حلو التـــثني ... أو تـــولّـــى
مـــا اقـــتـــربنا منك إلا بالتـــمني ... لـــيـــس إلا

***

مـــذ عـــرفناك عـــرفنا كل حـــسن ... وعـــــذابِ
لهبٌ في القلب، فـــردوس لعـــيني ... في اقـــتـــرابي

***

غـــيـــر أنا لا نرى الفـــردوس إلا ... رســـمَ راســـمْ
وشـــربنا من جـــحـــيم الحب مُـــهـــلا ... شـــرب هائم

***

لا تلمني أنَّ قلبي خـــانني ... أو عـــشـــقـــتُكْ
لـــم يـــكـــن مـــنّـــيَ إلا أنـــنـــي ... قـــد رأيتكْ

***

كـــان في الدنيـــا جـــمـــال لا يُعَــد   ثم لُحـــتـــا
فـــعـــددنا الحــسن طراً فـــهـــو فـــرذ   وهو أنتـــــا

***

أين حـــــسنٍ كــــان يجلوهُ النهـــــارُ   هل لبـــستَـــهُ؟
هل ورثت الصـــــبح والصـــــبح مُنارُ   أم قـــتلتـــهُ؟

***

تتـــــهــــادى ويح قلبي في خطاك   لـــستَ تــدري
لـــــســـــتَ تــــدري أي نــــار إذ أراك   ضِــمْنَ صَــدري

***

ضـــاحكاً يفْــتَــرّ نور البـــشـــر عنكا   كـــيف تعلْم
أن قلبــــاً دون قِـــيـــدِ الرمحِ منكا   قـــــد تحطمْ؟

***

زده داءً لا شـــــفـى اللـه جـــــواه   كم أســـــاء
من دعـــاه للتـــصـــابي من دعـــاه؟؟   زده داء !!

***

أو فحسب القلب ماطمٌّ وأربى لا تُبده
قد دعاه الله للحب فلبّى لا تزده

***

نحن قوم يا حبيبي قد خلقنا للجمال
إن أجاد الله في الخلق أجدنا في المقال

***

صاغنا الله لشدو وغناء حيث كنا
ونهانا عن جمود وجفاء فانتهينا

***

قال غَنّوا وصفوا خلقي البديعْ في القصيد
واطلبوا أجركموُ عند الربيع والخدود

***

ليس يُعْلي آيَ فنّي غيركُمْ حين تعلو
شكرها منكم ومنها شكركم ذاك عدل

***

مـــالكم أجـــر من الدنيـــا ســـواه فـــاغنمـــوه

يـا ذوي الحـــــسن بـذا أُوصى الإلـهُ فـاسـمـعـوه

* * *

قـــد وَفَـــيْنَا دَيْنَنَا فـــاوفـــوا الديونا هل رضـيـتم؟

وشـــدَوْنا فـــتـــعـــالَوا أســـعـــدونا لا شـــقـــيـتم

* * *

مـــا أتمَّ الـعـــيشَ لو تـصـــفـــو القـــوافي والـغـــــرامُ

شـــاعـــر يشـــدو ومـــحـــبـــوب يوافي والســــلامُ

* * *

طلاء نفس

زرقــةُ عــينيك لا صــفــاءُ ... فــيــهــا ، ولكنه فــضــاء!

حــمــرةُ خــديك لا حــيــاء، ... فــيــهــا ، ولكنه اشــتــهــاء!

قــوامك الرمحُ لا اعــتــدال ... فــيــه، ولكنه اعــتــداء![1]

يا حــيــرة القلب في هواه! ... يا غــاية العــمــر في مناه

وجــهك ســبــحــان من جــلاه ... ولــوّث الــنــفس بــالــطــلاء![2]

* * *

حــبك لا نعــمــة أراها ... فــيــه، ولكنه جــزاء

من في الصّــبــا جــرتُ في هواها!
من تلك مــقــبــولة الدعــاء؟[3]

أنت عــقــابي فــهل كــفــاها ... بَرْحُ شقائي أو لا اكتفاء!؟[4]

يا جنة حــسنهــا عــقــابُ ... يا خــمــرة عــذبهــا عــذابُ

مــتى مــتى ينطوي الكتــابُ ؟
مــتي فــراقٌ بلا لقــاء!

---

(١) القوام الرمح : الشبيه بالرمح في الاعتدال والاستقامة. (٣) جُرتُ : جاوزت الحدّ وخرجت على المألوف
(٢) جلاه : صوره وأظهره في أبدع صورة. (٤) برح الشقاء : شدته وقسوة تعذيبه.

عيش العصفور

حطَّ على الغصن وانحدر ... أقلَّ من لمحة البصر

مغرداً قط ما توانى ... مرفرفاً قط ما استقر

يلمس أيكاً بُعَيْد أيكٍ ... كأنما يلمس الإبر(١)

مطارداً لا إلى طريد ... مسابقاً لا إلى وطر

كخفة الطفل في صباه ... لكنها خفة العُمُر

وروده نغبةٌ فأخرى ... من خوَّف الطائر الصدَر؟(٢)

يقارب السُّحْبَ ثم يهوي ... يبشر الروض بالمطر

أصدق من سار في سرار ... بين الحيا العذب والشجر(٣)

ويستحث الرياح ضرباً ... بخافقيه فتبتدر

لله ما أهول المطايا ... وأضعف الراكب الأشِر(٤)

طار وليداً وطار شيخاً ... بين البساتين والغدُر

لا أعين الماء ناضباتٌ ... ولا خلا الروض من ثمر

أخبرُ بالنضج مقلتاه ... ممن سقى الحب أو بذر

سله عن الجند والزمر ... سله عن المُلك والسُّرُر(٥)

---

(١) الأيك: الشجر الكثيف الملتف.

(٢) نغبة: رشفة قليلة.

(٣) الحيا: المطر.

(٤) الأشر: المرح

(٥) الزمر: جمع زمرة أي الجماعة والمقصود الأعوان. السُّرر: جمع سرير أي العرش.

لـم يـأتـه عـنـهـم بـلاغ ولا دليـل ولا خـبـر
هذا هو العـيش فـاغـبطوه عليـه يا أيهـا البـشـر

***

هذا هو العيش فـارحـمـوه عليـه واستـخبـروا الغَـيـر[1]
فـإن سـألتـم فـسـائلوه عن صولة الصقر إن كسـر[2]
وحـيلـة الدِّبْقِ في ثراه وغـيلة الحـيـة الذكـر[3]
هـنـاك ينـزو لـه فـؤاد لا يجـهـل الريب والحـذر
لم يخف عن أعين الليـالي ولا توارى مـن الصـغـر
حـبـائل الدهر قـانصـات من طار أو غـاص أو خطر[4]
من عـاش يومـاً أو بعض يوم يعلم مـا ضـربة القـدر
أليس هذي الحـيـاة ذخـراً وحـارس الذخـر في خطر؟؟

(١) الغير : صروف الدهر وأحداث الزمان. (٤) خطر : مشي وهو يشعر بالتيه والكبرياء.
(٢) إن صار كاسرا : أي منقضا على الفريسة.
(٣) الدِّبْق : الشَّرَك الذى ينصبه الصياد للفريسة.

الوداع

معربة عن بيرنز [1]

قُبلة بعدها يطول الفراق ... وعناق، وليس بعدُ عناق

سوف أبكيك والمحاجر شكرى ... بدموع من الفؤاد تراق[2]

سوف أدعوك في الدجى بأنين ... وزفير في الصدر منه احتراق

كيف يشكو من عثرة الجد ظلماً ... مَن محياك نجمه الألاق[3]

بيد أني درجت في ظلمة اليأ ... س فحَولي من الظلام نطاق

لست ألحى على الهيام فؤادي ... قدَرُ الحب دفعه لا يطاق[4]

من رآها فكيف يسلو هواها ... يعشق القلب إذ ترى الأحداق

آه لولا صبابة وغرام ... قد شربناه والكؤوس دهاق[5]

ما غدونا ولي فؤاد كسير ... وجبين سيماؤه الإطراق

فسلاماً يا قرة العين والقلـ ... ـب وأحلى من صوّر الخلّاق

حاطكِ الله بالسعادة والحب ... ورواكِ ماؤه الرقراق

قُبلةٌ بعدها يطول التنائي ... وعناق، أوّاهُ! ثم افتراق

---

(١) القصيدة مترجمة عن الانجليزية.
(٢) شكرى : ممتلئة. تراق : تسكب وتنهمر.
(٣) عثرة الجد : خيبة الحظ وفشله. الألاق : المشرق المتألق.
(٤) ألحى : ألوم.
(٥) دهاق : ممتلئة.

النوم

أيا ملكاً عرشه في العيو ... ن يظلل دنيا الكرى بالجناح[1]

ضممت عليك جفوناً ترا ... ك أبرّ بها من وجوه الملاح

تُلم بأهدابها في الظلا ... م فتنسى جبين الزمان الوقاح

وتدني إلينا بعيد الرجا ... ء إذا الدهور ماطَلَنا بالسماح

أراك خلقت لنا هدنة ... تعاودنا في مجال الكفاح

إذا ما رفعنا سلاح الجلا ... د تُلمُّ فنُلقي إليك السلاح

فتجمع بين الظباء الضعا ... ف وبين ليوث الشرى في وشاح[2]

ويجفو الحبيب فتؤتي المشو ... قَ من لذة الوصل ما لا يتاح

وتحرس أجسامنا في المها ... د وتخلي لأرواحهن السراح

تحلق بالروح بين النجوم ... مؤتلقاتٍ وبين البطاح

وتبعث طيف الزمان القديـ ... ـم قد نام في لحده واستراح[3]

---

(١) الكرى: النوم.　　(٣) اللحد : القبر.

(٢) الظباء: الغزلان. ليوث الشرى: الشرى موضع اشتهر بكثرة الأسْد فيه والليوث: الأسْد.

وتسبق بالحالمين الزما ... ن إلى زمن سره لا يباح

كأن الرقاد أبٌ مشفقٌ ... يعلل طفلاً أطال النواح

يلقّيه تمثالَ زُهْر النجو ... م وكان له في النجوم اقتراح

أمانيَّ يحظى بهنَّ النيا ... م، وجِدُّ الحياة شبيه المزاح

ولو رام يسعى إليها امرؤ ... تقضّى به الدهور دون النجاح

إذا كان عيش الفتى لا يدو ... م فهزل المنام كجِدّ الصباحْ

زهريات
وردة محزنة

وردتي! فـيـم أنت ضـاحكة	يلمح البشرَ منك من لمحا[1]
فـيـم هذا الجمـال يحـزنني	رونق فيـه كـان لي فـرحـا
كنت أهوى الورود أصلحـهـا	مـا لذكرى الحبيب قد صلحا
هو فـي نيـتـي هديتـه	وهو فـوق الغصـون مـا برحا
وأخـال القـبـولَ يرمـقـه	وأضـحـاً فـيـه كلمـا وضحـا
ثم ولى الهـوى وأعـقـبني	نظراً ينكر النهـار ضحى[2]
فـإذا الورد غـصّة وشجًـا	يتراءى بالهجر لي شبحاً[3]
وإذا الزهر كـاليـتـيـم إذا	راق في العين حسنه جـرحـا
كـان للحب زينة فـغـدا	أثراً فـوق خـده طُرحـا
الـذبـول الـذبـول أرفـق بـي	مـن رواء يزيدني تـرحـا[4]

(١) البشر : السرور.
(٢) أعقبني : أتبعني.
(٣) الشجا : ما يعترض الحلق من عظم ونحوه.
(٤) رواء : جمال وبهاء. ترحا : حزنا شديدا.

سيان

إن قيل بالحق أو البهتانِ
دعهم يقولون، وقل سيانِ![1]
سيانِ مهما افترق الضدان
سيان مهما اختلف الخَصْمانِ
سيان ألفٌ هي أو ألفانِ
سيان بيدٌ هي أو مغانِ[2]
سيانِ نور أو ظلامٌ فانِ
سيان من يلهو ومن يعاني
قلها ببرهان ولا برهانِ
وأنت أنْتَ أحكم الزمانِ
وإن تَصَدّوا لك بالنكران[3]
أو ضحكوا سُخْراً فقلْ سيانِ![4]

(١) سيان : مثنى سيّ : وهو المثل والنظير.
(٢) بيد : جمع بيداء أي صحراء. مغان : جمع مغنى: المكان الأهل بالحياة والناس.
(٣) تصدوا : تعرّضوا وقاوموا.
(٤) سُخرا : استهزاء وسخرية.

نفثة

ظمآنُ ظمآنُ لاصوب الغمام ولا | عذب المدام ولا الأنداء تُرويني(١)
حيران حيران لانجم السماء ولا | معالم الأرض في الغمَّاءِ تهديني(٢)
يقظان يقظان لاطيب الرقاد يُدا | نيني، ولا سمر السُّمَّار يلهيني
غصّان غصّان لا الأوجاع تُبليني | ولا الكوارث والأشجان تبكيني(٣)
شعري دموعي وما بالشعر من عوض | عن الدموع نفاها جفنُ محزون
يا سوءَ ما أبقت الدنيا لمغتبطٍ | على المدامع أجفانَ المساكين
هم أطلقوا الحزن فارتاحت جوانحهم | وما استرحتُ بحزن فيَّ مدفون
أسْوانُ أسوان لاطب الأساة ولا | سحر الرُّقاة من اللأواء يشفيني(٤)
سأمان سأمان لا صفو الحياة ولا | عجائب القدر المكنون تعنيني(٥)
أصاحب الدهر لا قلب فيسعدني | علي الزمان ولا خل فيأسوني
يديك فامحُ ضنىً يا موتُ في كبدي | فَلَسْتَ تمحوه إلا حين تمحوني

(١) الأنداء: جمع ندى.
(٢) الغماء : الشدائد العظيمة.
(٣) غصان : ممتلىء الحلق بالماء.
(٤) الأسوان: الشديد الحزن والأسي. الأساة: الأطباء والمفرد: الآسي.
(٥) المكنون : المصون والمحفوظ.

أين الدموع

يا غزير الدموع! أين الدموعُ؟ — كم تريد البكى وما تستطيعُ

كيف سلواك والفؤاد بما يُسْـ — ـليه في فاجعاته مفجوع(١)

لهفَ نفسي عليك يا قلب يأبى — فيك إلا الكُمونَ داء وجيع(٢)

عبراتٌ، بُرءُ الجوى لو أريقت، — وسمام حتى تراق نقيع(٣)

كمنت فيك لا تفيض ولا تبر — د فالصدر من شجاها صديع(٤)

لو جرت في السحاب أجفل أوياً — زمُ عن سَبْحه الفضاء الوسيع(٥)

نضب الدمع أم مجاريه سدَّت — أم فؤادي تاموره مقطوع(٦)

كلما رمت في الجوانح ماءً — هاج للنار بينهنّ سطوع

(١) السلوى : العزاء.
(٢) الكمون : الاختفاء والتواري بعيدا عن العيون. الوجيع : الموجع
(٣) العبرات : الدموع. السمام : جمع سم. النقيع : المهلك.
(٤) صديع : متصدع، متهالك.
(٥) يأزم : يواظب علي الأمر ويلزمه. السبح : الجرى الشديد. يقال للحصان السريع: سابح
(٦) تاموره : قلبه أو غلاف قلبه.

من يذق غصة الشراب فما بي   غصة غير أن تفيض الدموع

إنما الحزن ريض ما استقى الد   معَ وأندى الأحزان حزن رضيع

يحرق الجمرُ يابسَ الحطب الجز   ل ويأبي الحريق لدنٌ مريع

فيك يا حب كل هذا؟ فبعداً   لك داءً ترياقه ممنوع(1)

غمرات وخدعة وجهادٌ   وسهاد وحسرة وولوعُ

---

(1) ترياقه : دواؤه.

متى[١] !

متى يا عيون يعود الضياءُ؟   متى يا رياض يعود الربيع؟

متى تأمرين؟ متى تأذنين؟   متى تَقْبلين دعاء الشفيع؟

* * *

متي يرجع الغائب المرتجى   إلى صدر أُمٍ براها السقام؟

متي يهبط النوم تحت الدجى   لعينيك يا ساهراً لا ينام؟

* * *

متى يطلع النجم للتائهين؟   وقد غرقوا في ليالي الخطوب

متى يجمع الشطُّ تلك السفين؟   وقد عاث فيها الخضم الغضوب

* * *

متى يأذن الجائعون الظما   ء في الماءِ يطفئُ حَرَّ الصدى

وفي الزاد يبقى ذماء الحيا   ة، وفي الخمر يعلو بها مُصعدا

* * *

متى؟ إي وربِّك قل لي متى؟!   وسلهم عن اليــوم والموعــد

فــقــد يُقــبل الزائر المرتجى   ولا من مُــلاقٍ له في غــد؟!

* * *

إليك مثال السؤال العجيب   وأنت بأحلى مــثـــال تجــود

عــشــيــةَ تبــسم عند الودا   ع وتسأل : في أي يوم أعود!

الطير المهاجر

علمتني مواسم الروض أن الطير شتى : مهاجر ومقيم

أتراني لا أسمع الطير إلا في رياضي معششاً لا يريم؟

رب شادٍ في هجرةٍ يتغنى وعليه السلام والتسليم

من جنوب إلى شمال، وحيناً من شمال إلى جنوب يحوم

فله حين يستقل وداع وله حين يقبل التكريم

خذ من الطير كلَّ يوم جديداً فسواء جديده والقديم

كم مُولٍّ وصفوهُ لا يُولِّي ومقيمٍ وصفوه لا يقيم

اليوم الموعود

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى   شوقي إليك، وما أُشاق لمغنم؟
شوقي إليك يكاد يجذب لي غداً   من وكره، ويكاد يطفر من دمي
أسرعْ بأجنحة السماءِ جميعها   إنْ لم يطعك جَناح هذي الأنجم
ودع الشموس تسير في داراتها   وتخطَّها قبل الأوان المبرم
ما ضرَّ دهرك إن تقدم واحدٌ   يا يومُ من جيش لديه عرمرم
لي جَنَةٌ يا يوم أجمع في يدي   ما شئتُ من زهر بها متبسم
وأذوق من ثمراتها ما أشتهي   لا تحتمي مني ولا أنا أحتمي
وتطوف من حولي نوافر عُصْمها   ليست بمحجمة ولست بمحجم
وتلذُّ لي منها الوهاد لذاذتي   بتصعُّدٍ في نجدها وتسنُّم
لم آسَ بين كرومها وظلالها   إلا على ثمر هناك محرَّم
فكأنما هي جنة في طيِّها   ركنٌ تسلل من صميم جهنم

أبداً يذكّرني النعيمُ بقربها ... حرمانَ مزءودٍ[1] وعُسرةَ معدم

وأبيتُ في الفردوس أنْعم بالمنى ... وكأنني من حسرةٍ لم أنْعَم

* * *

يا يوم موعدها ستُبْلِغُني المنى ... وتُتمُّ لي الفردوس خيرَ مُتَمَّم

لا غصن رابية تقصِّر راحتي ... عنه، ولا ثمر يعز على فمي

سأظل أخطر كالغريب بجنتي ... حتى أثوب على قدومك، فاقْدُم

فأبيتُ ثَم إذا احتواني أفقها ... لم أنْهَ عن أمل ولم أتندم

فرحي بصبحك حين تشرق شمسه ... فرح الضياء سرى لطرفٍ مظلم

* * *

أمعيرتي خلد السماء سماحةً ... صونيه عن وَلهٍ صيانةَ مكرم

رفقاً بخلدك أن تشوبي صفوه ... إنْ لم تريْ رفقاً بمهجة مغرم

(١) المزءود : الشديد الفزع.

يوم الظنون

يومَ الظنون صدعتُ فيكَ تجلُّدي وحملت فيك الضيم مغلولَ اليد[١]

وبكيتُ كالطفل الذليل أنا الذي ما لان في صعب الحوادث مِقوَدي[٢]

وغصصت بالماء الذي أعددته للري في قفز الحياة المجهدِ

لاقيت أهوال الشداء كلها حتى طغت فلقيت ما لم أعهد

نارَ الجحيم إليّ غيرَ ذميمة[٣] وخذي إليك مصارعي في مرقدي

حيرانَ أنظر في السماءِ وفي الثرى وأذوق طعم الموت غيرَ مصرَّد[٤]

أرْوَى وأظمأ عذبُ ما أنا شاربٌ في حالتيَّ نقيعُ سم الأسوَدِ[٥]

وأُجيل في الليل البهيم خواطري لا شارقٌ فيه ولا منْ مُسعدِ[٦]

وتعيد لي الذكرات سالف صبوتي شوهاء كاشرة كما لم أشهد

---

(١) مغلول اليد : مقيد اليد.
(٢) المقود : الزمام.
(٣) نار الجحيم إليّ : تعاليْ إليّ وأسرعى.
(٤) المصرَّد : الشراب الذى لا يعقبه ارتواء.
(٥) سم الأسوَدِ : سم الثعبان.
(٦) البهيم : المظلم.

مُسختْ شمائلها التي سعدت بها وبدت بوسْم في السعير مخلّد

يا صبوة الأمس التي سعدت بها روحي، وليت شقيُّها لم يسعد

وعرفتُ منها وجهَ أصبحَ ناضرٍ ورشفت منها ثغر ألعَس[1] أغيد

سُومحت بل جوزيت كيف وعيت لي

بالأمس فيك ضراوة الذئب الصدي[2]

سُومحت بل جوزيت كيف طويت لي

زرق الأسنَّة في الإهاب الأملد[3]

أمسيت حربي في الظلام وطالما جلّيت لي وجه الظلام المريد

ورجعت أهربُ من لقاك وطالما ألفيتُ عندك في الشدائد مقصدي

ما كان من شيء يزيد تنعُّمي إلا يزيدُ اليومَ فيك تلددي[4]

أواه من أمسي ومن يومي معاً والويل من طول التردد في غدِ

(١) الألعس : الأسمر الشفة : وهى سمرة مستحبة. (٣) الأملد: الناعم والطرى.
(٢) الصدي : المتعطش إلي الدماء. (٤) تلدّدي: عذابي وشقائي ومعاناتى.

أهبُ الخلودَ كـرامـةَ لمبـشـري أن ليس يومي في العذاب بسرمد[1]

وأبيع حظي في الحـيـاة بسـاعـة أنسى بهـا عـمـرى كـأن لم أولد

وأسوم مـرعى العـيش غير مزوّد وأرودُ روْضَ الحسن غـيرَ مقـيّد[2]

(١) السرمد : الخالد والمستمر إلى الأبد.
(٢) أسوم مرعى العيش : أمارس الحياة وأعيش أحداث الزمان.

غيرة طفلة

مــا كــان أملح طفلة	من غيــر شيء تخـجلُ

ضاحكتـهـا فـتـمـايلت	وشـعـــورها تتـــهـدلُ

ورجـوت منهـا قـبلةً	فـأبت كـمـن يتـدلل

وتعـبت وهي تصـدُّني	حـيناً وحـيناً تقـبل

فـرفـعتُ مـرآة لهـا	فـتطلعت تتـأمل

قلت انظري في وجهها	أفـأنت أم هي أجـمل

قـالت وفـيـها غـضبـة	أنا بالملاحـة أمـثل

ومـضت تقـول إلى متى	تنسى الجـمـيل وتجـهل

وأقـول ايكـمـا إذن	أدعـو بهـا فـأقـبّل؟؟

عطفت عليّ وكل محبو	ب يغـار فـيـسـهل

تبكين

تبكين! والهفَ الفؤاد يذيبه ... ذاك الحنين يذوب في خديك

أيراك باكية وأنت ضياؤه ... ونعيم عيشي كله بيديك؟

وعزيزةٌ تلك الدموع فليتها ... يقنو قُطيرتها نظيم سُلَيك

لملأت ثمّ يدي بأكرم جوهر ... من عطف قلبك فاض من عينيك

***

لو أستطيع جمعت كل ذخيرة ... في الدهر من ضحك يروق لديك

ونغمت أطربَ شدوه وجعلته ... بين الكؤيس العذب من شفتيك

فيضج مزدهياً بفيك وتنتشي ... فرحاً قلوبُ الناظرين إليك

ما أحسن الحسن المهذب ضاحكاً ... وأحب جلباب السرور عليك

***

والله ما ضنَّ السرور وما ونى ... يَشتاق هزته على عطفيك

لو شئت كل مسرة مبذولة ... لجثت مسرات على قدميك

إلى ربة الحب
الزُّهَرَة

فـريدةَ الأفق أسـعـديني ... وخـالسي النجم وارمـقـيني
وسلسلي النور صوبَ عـيني ... وعـن شـمـالي وعن يميني
أشـعـةً ينبـثـقن شـتى ... كـأنهـا عـذْق ياسـمين[1]
أراك تـغـويـنني بوحيٍ ... إلى السـمـوات يزدهيني
إغـواءَ ذات الدلال صـينت ... في ذروة المعـقل الحـصين[2]
فـهل سـبـيلٌ إليك يُبـغى ... وأنت أعـلى من الظـنون؟

***

فـيك ضـلال وفـيك رشـد ... فـضلليني وأرشـديني
بين وجـوه تـضل من لا ... يضل في ضـوئهـا المبين
كـوني مناراً فـالحب بحـرٌ ... قلوبنا فـيـه كـالسـفين

لما تجليت لي اسـتـضـاءت ... خـواطري وانجلت شـجـوني
يـا طالما تـخـدع الدراري ... لـواحظ الشـاعـر الحـزين

---

(١) العذق : الفرع والغصّن من الشجرة

(٢) المعقل الحصين : القلعة المنيعة.

طلعة الحلم

يا طلعـة الحلم مـتى ألقـاكِ؟ ... فــداك كل طلعــة فــداكِ

مـا النور من شـمس ولا أفـلاك ... جــلاّك لي، كــلاّ، ولا حــلاّكِ

أنت ارتفـعت بي إلي عـلاك ... وهبـــتني نـوراً بـه أراكِ

لو لم أكن أصـغي إلى خُطاك ... قلتُ خـيـالٌ من قــوامٍ زاك[1]

في لجــة النور بدا يُحــاكي ... صـورتَه في عـالم الأمـلاك[2]

في مـعـزل عن ضـاحك وباكِ ... فـوق غـرام النفس مـشـتـهاكِ

إذا المنى حــامت على ذُراك ... فـإنما تـصـبـو إلى مـعناك[3]

وبالتـســابيح تمنيناك ... وكل حـسن يُشـتـهَى سـواكِ

تعــاليــاً عن تلكم الشــبــاكِ

حـاشـاك من دنيـا الهـوى حـاشـاكِ

---

(١) زاك : جميل ومتألق.
(٢) ذراك : قممك العالية.
(٣) اللجّة : الموجة العاتية، ولجة النور : النور الغامر.

خواطر وهواجس

يوم ميلادي

يومَ ميلادي تقدمْ ... وتأخَّرْ ... وتكلَّم
لا تقل لي قبل عام ... كيف كنا، أنا أعلمْ
لا تقل لي بعد عمري ... كيف نُمسي، لستَ تعلم
غاية الأمر أظانـ ... ـينُ، وبعض الظن يأثم[1]
سوف نمسي مثل ماكنـ ... ـا، ولم نولد ونُفطَم
إن يكن ذلك شيئاً ... لستُ بعد الموت أُعدَم
أو يكن ليس بشيء ... أترى «لا شيء» يندم؟!
أيُّها الحالين قل لي ... بعد طول العمر أسلم؟!
تظلم الموت إذا قلـ ... ـت ظلومٌ ليس يرحم[2]
نحن لا بالموت أعْطِينا ... ولا بالموت نُحرم
من يَعُدْ يوماً كما كا ... ن فقد تمٌ وتَمَّم
صفقة الأعمار فيها ... قلة الخسران مغنم

(١) أظانين : جمع ظن. (٢) ظلوم : كثير الظلم.

إلى الشفاه لا إلى الآذان

فــيم أروي لكِ شــعــري؟ أنــــا أدرِي، أنــــا أدري

* * *

أنـا أدري يا فـــتـــاتـي حــيث ألقي بالأغـــاني
إن شـــعــري ســمــعــتــهُ شــفــتــانِ .. شــفــتــان !
ها هنا ســـرب إلي القلـ ـب الذي أغـنيـــه دان

* * *

رفّ شــعــري حــيث رفّت بالأمــاني قــبــلاتي
وتصــفّــحت صــداه قــبــســاً في الـوجنات
هو من ثـغــر فــتــاتي وإلى ثـغــر فــتــاتي

* * *

فــيم تســعى رحلتي بيـ ـن المعـــاني وتـطـولُ
ها هنا الشــعــر ومـوحي الـ شــعــر يصــغي ويقــولُ
كل إصــغــاء لعــمــري. بين هـذين فــضــولُ

نفثة

غربّوا قلبي وهم وطن ومضوا عني وما ظعنوا[1]

واستقلوا حيث لا رُسل تبلغ المسعى ولا سُنن[2]

هجروا والهجر مبعدة ليتها تجتابها السفن

أين منا دار وصلتهم؟ قربت لو أنها مدن!

دارهم لا قُوضت أبداً غُرة في ظلها سكنوا

غِرةٌ في الحسن تبعدنا وبها في الحسن نفتتن

أين لا أين القرار بنا آذنوا بالبين أم قطنوا[3]

دارهم من حيثما نزلوا قنة تعنو لها القنن[4]

أي فردوس علمت به لم يحطه الموت والإحن[5]

هذه الجنات نبصرها هل لنا في بعضها وطن؟

***

(١) ظعنوا : رحلوا وسافروا.
(٢) سـنن : علامات وسبل.
(٣) البين : الفراق . قطنوا : أقاموا.
(٤) القنة : أعلى الشيء وقمته.
(٥) الإحن : جمع إحنة : البلاء الشديد.

مـــا لكم يا روضَ أنفـــسِنا لا يقــينا شــمـــسَكم غــصن؟

لو عـلمـــــتم مـــــا نـكابده لانَ منـكم جـــانب خـــشن

رحـــمـــــةً يا من نـهـــيم بـه وهـو يـقـــــــلانـا ويـظـطـغـن

هل عـلمتَ الجـمـر مـفـتـرَشـاً والصـلالَ السـود تُحـتـضن[1]

ذاك أو حـــمى تَـضَــمّنهـــا جـسـدٌ واهي القـوى ضـمِن[2]

تـتـلقـــاه بـصْـــرعـــتــهــــا فــــيـــحــــار الموت والوهن

بعض مـــا نـلقـــاه من شـــجن بـك والـنـوام قــــــد سـكـنـوا

عـنـدمــــا يـخـلو الظـلام بـنـا حـــــــيـث لا عـين ولا أذنُ

* * *

زمـنـي جـــــوزيـت يـا زمـنـي أي بـأس فـــــيـك لا يـهـن[3]

مـــا الذي أبـقـــاه لـي زمـنـي غـــال صـــفـوي كله الزمن[4]

ليس لي في مـــبـصَـــر أمـل كل شيء فـــيـــه لي شـــجن

لا أرى في القـــبح من حـــسن فـلمـــاذا يـقـــبـح الحـــسن

(١) الصلال : الحيّات

(٢) ضمن : مريض وعليل.

(٣) لا يهن : لا يضعف.

(٤) غال : بدد وقضى على.

شـاهت الأوصـاف في نظري ... سـرها المخبـوء والعلن[1]

مـا الأمـاني؟ إنهـا خـدع ... مـا الغـواني؟ إنهـا دمَن[2]

مـا الصداقـات التي زعمـوا؟ ... إنهـا البغضـاء تؤتمن[3]

مـا العلا؟ مـا المجد؟ في أمم ... مجـدها بل ربهـا وثن[4]؟

مـا السجـايا الغـر وا أسفـا ... إنهـا حلـم ولا وسـن[5]

بل سل الأقـدار إن نطقت ... مـا حيـاة شـأوها بدن

نشـتري أنفـاسـها قطعـاً ... وهي نعطيهـا ولا ثمن

أقـصـارى الطرف من نظر ... رؤية بالويل تقـتـرن؟[6]

والعـمى رزء وإن وضـحت ... في ضيـاء المبـصـر المحن

ضل عـقل لا ترفّـهـه ... نشـوة تطفـو بما يزن

إنما يشـقى الفـؤاد ومـا ... شـقـيت إلا به الفطن[7]

(١) شاهت : قبحت.
(٢) الدمن : جمع دمنة ، الأثر المتخلف من الديار.
(٣) البغضاء : شدة الكراهية.
(٤) وثن : صنم.
(٥) السجايا الغرّ : الأخلاق والطباع الكريمة.
(٦) القصارى : الغاية والمنتهي. الطرف ، البصر.
(٧) الفطن : العقول.

عهد بين عامين

أحبّكِ في السنة الآتية ... كحبيك في السنة الماضية

ويكبر شوقي بطول المدى ... كما تكبر الدوحة النامية

«سعاد» ويا حسن هذا الند ... اء إذا ما وجدتك لي صاغية

نسيتُ التواريخ إلا التي ... تعود بذكرك لي راوية

فأنت الزمان وأنت المكا ... ن وأنت غنى النفس يا غانية

ولست أعدُّ حساب السنـ ... ـين بالشمس طالعة خافية

ولكن بوجهك لي مقبلاً ... ونظرتك الحلوة الساجية

فيوم الرضى عالم حافل ... من الحب والذكرة الباقية

ويوم النوى عالم مظلم ... تَضل الشموس به هاوية

* * *

دعي الناس يحيون أيامهم ... ويَلْهونَ بالضجة الخاوية

فعيدي بقربك لا ينقضي ... وأعيادهم كلها فانية

إذا انتظروا العام لم أنتظر ... سوى لمحة منك لي كافية

فهاتي سرورك لي صافياً ... وجودي بأعيادك الغالية

ودمت لعباسك المرتضى ... ومتّعت بالحسن والعافية[1]

---

(١) عباسك المرتضى : يقصد الشاعر نفسه.

صوت من السماء

لما رأتــنــيَ أهــلاً	لأن تراني مــحــبــا[1]
وأرســلــت لــيَ نــوراً	من قلبهــا الرحب رحبــا
رُدت إليَّ حــيـــاتي	روحــاً وجــســمــاً وقلبــا
وأخصَب الشعرُ عندي	وكـــان بالأمس جــدْبا
لا بل علمتُ يقـــيناً	علمــاً مع الروح شــبــا
بأن للحب صــــوتا	من الســمـــاء يُلبّى
وأن للعــيش مــعنى	وأنّ لــلــكـــون ربّــا

(١) أهلا : مستحقا وجديرا.

الحان والمسجد[1]

تريدين أن أرضى بك اليومَ للهوى وأرتاد فيك اللهو بعد التعبيد

وألقاك جسما مستباحاً وطالما لقنيتك جمٌّ الخوف جمٌّ التردد

رويدك إني لا أراك مليئة بلذة جثمان ولا طيب مشهد

جمالك سم في الضلوع وعشرة ترد مهاد الصفو غير ممهد[2]

إذا لم يكن بد من الحان والطلى ففي غير بيت كان بالأمس مسجدي[3]

(١) الحان : مكان شرب الخمر.
(٢) مهاد الصفو : السرور المهيأ والمتعة الجاهزة.
(٣) الطلى : الخمر.

كلماتي

كلمـــاتي ! كلمـــاتي !   صـدق الوعـد فـهـاتي

هل مـعـيني وحـيك الصـا   دق أو وحـي اللغـــات؟

أنا أسـتـأديك[1] مـا لم   تـبـلـغـــيـــه بأداة

من مــعــان تتـعـالى   عـن لســان ولهــاة[2]

فــاسـألي الأرباب عـن تلـ   ـك المعــانى الخـــالدات

أوسلي الصـمت فكم صـمـ   ـتٍ لـه عـلـم ثـقـــات

ينتـــهي شـــأو الأحـــاد   يـث إلـيـــــه والـرواة

ويـــــه لاذ هـــــداةٌ   عـــرفـــوا وحي النجـــاة

* * *

انـظـري يـا كـلـمـــــاتي   وأصـــيـــخي فـي أناة

مـــا ضـــيـــاءٌ ثَم في الأفـ   ق، وفـي كـل الجـــهـــات

---

(١) استأداه الشيء : طلب منه أداءه.

(٢) اللهاة : لحمة مشرفة على الحلق.

لا مـــن الارض ولا مـــن   دارة الأفـــــــلاك آت
لا تراه غـــيــر عـــيني   وهـو مـلء الـكـائـنـات
هل يرى الدنيــا امـــرؤٌ لم   يــر منــه قـبـســات؟
كـلـمـــاتي أنـت فـي وا   د من التـيــه شـتـات[1]
اســـألي الأرباب عـنـه   أو سلي الصــمت وهاتي

* * *

كلمـــاتي مـــا تقـــولـ   ـين إذن يا كـلمـــاتي
مـــا نعـــيمٌ يمنح الـكـ   ـف غــذاء المهـــجـات
تقـــصـــر الألبـــاب عنه   وهو بعض اللمـــســـات
في يدي أدعـــوه خـصـراً   تـــــارةً أو زهـــــرات
في فــمي أدعـــوه ثغـراً   تارة أو قــــبــــلات
وفـؤادي؟ مـا اسم مـا فـيـ   ـه إذن يـا كـلـمـــاتي
اســـألي الأرباب عنـه   أو سلي الصــمت وهـاتي

* * *

(١) الشتا : المتفرق.

نشـــــوات تلك ؟ لا بل   تلك فــــوق النشـــوات

يـقـظـات تـلـك؟ لا بـلى   تلك غـيــر اليــقظات

بلغت منهـــا مــــداها   وارتقت مـــرتفــعـــات

تسلس اليـــقظة للوصـ   ـف وتصــــغي وتؤاتـي

فـــإذا جـــازت مــداها   لزمت صـمت السـبـات

كلمـــاتي ! مـــا تقــولـ   ـين إذن يا كلمــــاتي

اســـألي الأرباب عنهـــا   أو سلي الصــمت وهاتي

* * *

لحـظـة تمـنـح قــلـبـي   كل هاتيك الهــبـــات؟

لحظة ترفع عــــمـــري   حـقـبـاً مـتـصـلات؟

ربّ عــمــــر طال بالرفـ   ـعــــة لا بـالسـنوات

لحـظــة ؟ لا بـل خــلـود   لاح بـين الـلـحـظـات

كــالســمــاوات تراهـــا   من شـــبـــاك الحلقـات

ربّ آبـــــاد تجــلّــت   من كـوى[1] مـخـتلفات

(١) جمع كوة وهي فتحة في الحائط.

وقُطيــــرات زمــــان   مــلأت كــأس حــيــاة

وإذا مــــا طغت الكأ   س فــقل في السكرات!

سكرة تُغــشي وأخــرى   تغــتلي بالصــحــوات[1]

هكذا بتـنا رفــيــقـ   ـين لزيَّيْ لشــمــات

غـــائبٌ غــافٍ، وصــاح   لخــفــيف الهــمــسات

كلمــاتي. مــا تقــوليـ   ـن إذن يا كلمــاتي

اســـألي الأرباب عنا   أو سلي الصــمت وهاتي

* * *

أيـن أمـــلاكٌ عـلـى   أبراجــهــا المطلعــات

تصــقل الآفــاق في الليـ   ـل وتجلو النيِّـــرات[2]

لا أرى الدنيــا على نو   ر الليــالي الغــابرات

أين؟ لا بـل نـدع الدنيـ   ـا وراء الحــجــرات

نورنا الليلة مــصــبــا   حٌ وليــدُ اللمــحــات

غض جــفنيــه حــيــاءً   من غــضــيض النظرات

---

(١) تغتلي : تزيد وتشتدّ   (٢) النيرات : الكواكب والنجوم المضيئة

شـــفـــقـــيـــاً أو فـــقـل إن ... شـئت فـجـريّ الـسِّـمـات
عـــســـجـداً بـارك حـسـناً ... عـسـجـديٌّ الـبـركـات[1]
سـبـحتْ عـيـني ونفـسي ... ويدي في غـــمــــرات[2]
في كنوز منهـــمـــا أيٍّ ... كنوز مـــغـنيـــات
ثـروة أنـفـق مـنـهـــــا ... لحـــيـــاتي ومماتي
ولبـــعـــثي يوم أن تُبـــعـ ... ـث في الطرس وَصـــاتي
كلمـــاتي ! مـــا أراك اليـ ... ـوم إلا خـــــاذلاتـي
عـنـك أغـنـتـنـي كـنـوزي ... وكنـوزي ملهـــمـــاتي

***

ســـمـــعـــتني كلمـــاتي ... واســـتـــعـــادت دعـــواتي
ثـم قـــالت في حـــيـــاءٍ ... كـــالعـــذارى الخـــفـرات
باح لي الصـــمـت ولكن ... فـــاتـنـي أيٌّ فـــوات
قـــال ســامـوك عـــســيـراً ... في التـــمـنـي يا بنـاتي
ارجـــعـي، ثـم أعـــيـــدي، ... ثـم عـــودي صـــاغـــيـــات

(١) العسجد : الذهب. (٢) الغمرات : جمع غمرة وهي الشدة والحادثة الشديدة.

مـــرة أو عـــشـــرات وإذا اسطعت مــئــات

مـــا بدرسٍ واحـــد تُو فين هاتيك الصــفــات

هكذا يا شــاعـــري ألـ ـهـمني الصـمت فـهـات

هاتهــا وافــرح بإحــسـ ـانـي وراقب حــسـناتي

لا يبــوح الصــمت إلا درجـــاتٍ درجـــاتِ

***

كلمـاتي ! صـدق الصـمـ ـت، أجل يا كـلمـــاتي

غــيــر أني لا أعــيـد الأ مسَ إلا بـصــــلاة

مــرجع الأمــر لمن ضـمـ ـت رجـــائي وشـكـاتي

يملك العــودة من أحــيـا مـــن الأرض المــوات

فـابعثي الصـمت إليـهـا في خـــشـــوع وتَقــاةِ

ربمــا أعــطــتْ وإن لــم تســألي يا كـلمـــاتي

خواطر في شؤون الناس

القدر يشكو

صــغــيــر يطلب الكِبــرا وشـــيخ ودَّ لـو صَــغُــرا

وخــالٍ يشــتــهي عــمــلا وذو عــمــل بــه ضــجــرا

ورب المــال فـــي تــعــب، وفي تعب من افــتــقــرا

ويشــقى المرء منهــزمــا ولا يرتاح منتــصــرا

ولا يـرضى بـلا عَــقِــب فــإن يُعــقبْ، فــلا وزرا[1]

ويبــغي المجــد في لهف فــإن يظفــر به فــتــرا[2]

ويخــمــد إن ســلا، فــإذا تولّه قلبــه زفــرا[3]

فــهــل حــاروا مع الأقــدا ر أوهم حــيــروا القــدرا!

شكاةٌ مــا لهــا حَكَم سوى الخصمين. إن حضرا

(١) الوزر : المعونة والتأييد.

(٢) فـترا : سكن وهمد وانطفأ.

(٣) تولّه : اشتعل بالعاطفة.

كواء الثياب ليلة الأحد

لا تَـنَـمْ، لا تـنـم　　إنَّهم ســاهـرون
سـهـروا في الظلم　　أو غَـفَـواْ يحلمـون[1]
أنت فـيـهم حكم　　وَهُـمُ يـنـظـرون
في غـدٍ يلبسـون!　　في غـدٍ يمرحـون

* * *

كم إهاب صـقـيل　　يـا لـه من إهـاب[2]
وقـوام نـبـيـل　　في انتظار الثـيـاب
وحـبـيب جـمـيل　　يزدهي بالشـبـاب
كلهم يَحْلُمُـون !　　في غـد يلبـسـون

* * *

أسْلَمـوك الحُلل　　كـالربيع الجـديد[3]
في احـمـرار الخـجل　　أو صـفـاء النهـود
تُشـتـهى بالقـبل　　لا بِمَسِّ الحـديد[4]

(١) غفَوا : ناموا.
(٢) الإهاب : الجلد والبشرة.
(٣) الحلل : جمع حلة يقصد بها الثوب والرداء.
(٤) مسّ الحديد : يقصد حديد المكواة.

يـا لـهـــــا من فنّون   بهــجــة للعـيــــون

* * *

طُويت كــــالعـــجين   فـاطْوِ فـيـهـا الجـمـال

لمســـــة باليـــــمين   عـطفــــة بالشـــمــــال

والعـــجين الثـــمين   في استـــواء «المثـال»

فــيـه مـاسَتْ غـصـون   مــن جـنـاهـا الجـنـون

* * *

زد نصــيب الحــبـيـب   من هوى وابتـســـام

بـالكســـاء القـــشـيـب   رفّ حـــول القَـــوام

لك فـــيــهم نصــيب   غـــيــــر كيّ الغــرام

عند بَرْح الشـــجــون   هُمْ هُمُ المكتــــوون[1]

* * *

الـضـــــرام اتـقـــــد   في المكاوي الشـــداد

هل خـــبـــــا أو برد   أو عــــلاه الـرمـــاد ؟

ذاك يــوم الأحـــــــــد   أيـن مـنـك الـرقـــــاد

إن قـــضــيـت الديون   كـلّ نـارٍ تـهــــــون[2]

(١) بَرح الشجون : لهيب الأشواق ونار المعاناة.   المكتوون : الذين يعانون شدة الوجد والهيام.
(٢) يقصد برد الديون : إرجاع ما يكويه من الثياب لأصحابه.

***

أنا مصغٍ إليك — في الظلام الطويل

سامع من يديك — كلُّ ضربٍ ثقيل[1]

ناظر مَوْقِدَيْك — منذ غاب الأصيل

بين غمض الجفون — واطِّراد السكون

يا أخا الفن لا — تَدْعُها بالثياب

وارْقَ منها إلى — ما احتوتْ من شباب

وجمالٍ حلا — وحياة عُجاب[2]

وتفلسف على — ما احتوت من رقون[3]

تَحْيَ بين الأولى — خلفها يختفون

تَلْقهم يهمسون — وهم صامتون

والليالي تهون — والكرى والمنون[4]

(١) الضرب الثقيل : يقصد به وقع المكواة وهو يحركها علي الثياب والنار والضرب الثقيل أيضا مصطلح في الموسيقي العربية.

(٢) العجاب : العجيبة، المثيرة للفكر والتأمل.

(٣) الرقون : وسائل الزينة والأصباغ التي يتجمل بها النساء.

(٤) الكرى : النوم. المنون : الموت

القمة الباردة

للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتر عندها الحياة. فإذا نظر الإنسان إلي حقائق الأشياء لم ير شيئاً ولم يشعر بشيء لأن حقيقتها كلها أنها ذرات ترجع إلي حركة متشابهة في كل ذرة. فخير له ألا ينظر إلي الحقائق كل النظر ولا يعرض عن الظواهر كل الإعراض، لأن الحي لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التي تقع عليها الحواس وتدركها البديهة، فإذا تجاوز ذلك فقد ارتفع من المعرفة إلي قمتها الباردة التي لا يشعر فيها بحياة.

إذا ما ارتقيت رفيع الذرى ... فإياك والقمةَ الباردة[1]

هنالك لا الشمس دوارة ... ولا الأرض ناقصة زائدة

ولا الحادثات وأطوارها ... مجددة الخلْق أو بائدة[2]

قوالب يلتذ تقليبَها ... أناسٌ وتبصرها جامدة

ويعجب قوم بترقيشها ... وألوانها أبداً واحدة[3]

وتعلو وتهبط جدرانها ... وآساس جدرانها قاعدة[4]

ويا بؤس فانٍ يرى ما بدا ... من الكون بالنظرة الخالدة

فذلك رب بلا قدرة ... وحَيٌّ له جثة هامدة

---

(١) الذرى : جمع ذروة وهى القمة العالية.
(٢) الترقيش : التزيين والتلوين.
(٣) بائدة : زائلة وهالكة.
(٤) آساس : جمع أسّ وهو قاعدة البناء.

إلى الغـور!! أمـا ثلوج الذرى فـلا خـيـر فـيـهـا ولا فـائدة[1]

* * *

يا ربة الحب كلمـــــــيني إنـي عـلـي طـورك المكـين

أو فـاهمـسي لي باللمح سراً همـس فـطـين إلـى فـطـين

أدين بـالحب فــهـــو دين لـكـل مـن دان بـاليـــقين

وربَّ ليل سـمـا جـبـيني إليـك يا قـبـلة الجـبين

أذكـر أعـيـادك اللواتي أسْهـرنَ مـا شـئن من جـفـون

من شـادنٍ بالزمـان يلهـو عَلَّمْـتـه لوعـةَ الفـتـون

أو طفلة بالصـبـا لعـوب أورَثْتـهـا فـرحـة الغـبين

والنـاس إلا بَنيك غـاصـوا فـي لجـة النـوم والسكـون

فليس إلا خـفـوق قلبٍ يـكـاد يـنـشـق بـالـوتـين[2]

أو زفـرة من فـؤاد صب يعـارض السـجع بالأنين

أو والـهٌ قـائم يـصلـي إليـكَ بالمدمع الهـتـون

أو بـث خِـلـين فـي عـنـاق حنًا إلـى الوصل بعـد حين

(١) الذرى : القمم.
(٢) الوتين : الشريان الرئيسى الخارج بالدم من القلب لتغذية الجسم.

أو نسمات الصباح تسري … من الروابي إلى الحزون[١]

تحمل نفح الرياض شتى … من كل زهر على الغصون

تندسُّ بين الثمار فجراً … كاللص في هجعة العيون[٢]

تكتم أنفاسها وتخشى … من لفتة الغصن والطنينِ

* * *

وربَّ ليل سمعت فيهِ … من فمك الساحر الامين

مقالة بعضها جنون … والبعض شرٌ من الجنون

«إن زمان الشباب ليل … فاقضوه في اللهو والمجون

لا تنقصوا ليله بنوم … كفاكمُ نومة المنون

تمتعوا بالشباب وامضوا … كما مضت غابر القرون

سترجع الكأس فاحتسوها … إلى مدير بها ضنين

تديرها بعدكم يداه … آهٍ من الغادر الخؤون

والشيب صبح، إني لأخشى … عليكمُ بغتة الأذينِ[٣]

فنادموني من قبل يوم … يؤودكم أن تنادموني»[٤]

---

(١) الحزون: جمع حَزْن أي الأرض الوعرة الخشنة. (٣) الأذين: الحاجب، والمقصود به هنا: الموت.
(٢) هجعة العيون : نومها ورقادها. (٤) يؤودكم : يشق عليكم ويصعب.

عابر سبيل
بيت يتكلم

كل بيت من البيوت التي تعاقب عليها السكان لو ألقيت عليه طِلَّسْمَ الخيال وأمرته بالكلام فتكلم لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدحم بها فضاء المكان، ولسمعت عجباً لا تسمع الآذان أعجب منه، وليس الذي يتحدث به «البيت» في القصيدة التالية إلا قليلاً من كثيره :

جميع الناس سكاني ... فهل تدرون عنواني؟

وما للناس من سر ... عدا آذان حيطاني

حديثي عجب فيه ... خفايا الإنس والجان

فكم قضيتُ أيامي ... بأفراح وأحزان!

وكم آويت من بَرٍّ ... وكم آويت من جان![1]

فإن أرضاكمُ سري ... فهاكم بعضَ إعلاني

* * *

بني الإنسان لن أحفل في دهري بإنسان

(١) البر : الصالح والتقيّ. الجانى : الآثم والمذنب.

ألم أعْــــــــرفْكُمُ طرا		فلم أسـعـد بعـرفـاني؟
أتـــانـــي أول الـــســكْـــنِ		ومـا اسـتـوفـيت بنيـاني[1]
ومــــــــا أرهـفـت آذانـا		ولـم آنـس بـقـطـان[2]
وأصــغـــيت على مــهـل		فـطـاشــت كـل آذانــي
هـمـــا زوجـــان، أو شــيطا		نـة لاذت بـشــــيطان
وقــد عـــاشـــا وفـــيين		بتـقـديـر وحـسـبـان
وراحـــــا ـ هـكـذا يـحـكـو		ن ـ في روح وريحـــان
ومــــا أبصـــرت من هذا		ولا مـــن تـلـك فــي آن
ســـوى خـــوانـة خــر		قـاء تفـري عـرض خـوان[3]
إذا مـــا ضــحكا يومـــا		على غش وبهــتــان
حـسـدت البـيـد والأطلا		ل في غـيظي وكـتـمـاني
وأشـــفـــقت من النقـ		ـمـة أن تهـتـز أركـاني

(١) السكْن : السكان.
(٢) قطان : جمع قاطن أى ساكن.
(٣) تفرى : تشق وتفتت.

***

وجاء الساكن الثاني ... وبئس الساكن الثاني

يراه الناس ذا مال ... وأفراس وغيطان

وقد شوهني بخلا ... وأعراني وأعياني

وقد صيرني سجنا ... ومنه كان سجاني

فلما طال بي عهداً ... ولم أسعد بهجران

وَدِدْتُ لو أنَّ لي في ... كلِّ جحز ألْفَ ثعبان

بديلا منه أرضاه ... وأحبوه بغفراني

وأنفث سمَّها أو يتـ ... ـقي شري ويخشاني

إلى أن آده أجري ... ولم يظفر بنقصان[1]

فأخلاني، ولن أنسـ ... ـى سروري يوم أخلاني

***

وكان الساكن الثا ... لث ذا عز وسلطان

---

(١) آده : أثقله وأعجزه.

فـــمـــا ارتـبـت بـأنَّ العـ ـز والـذلـة ســـيـــان
ومـــا ألفـــيـــتـــه إلا لـئـيـمـاً جـد غـفـلان
ضـعـيـفـا يـسـتـر الضـعـ ـف بطغـيـان وعـدوان
وكـم أذعـن لـلـطـاغـي عليـه شـر إذعـان
إذا مـــا لـقـي الـنـا سَ يـكْبـِرٍ منه طنان[1]
فـمـا أصـغـر مـا ألقـ ـاه منـه بين جـدرانـي

***

وأمـــا رابـع الـقـوم فـذو علم وتبـيـان
حـشـا بالورق اليـا بس والأخـضـر حـيـشـانـي
فـمـا لـي مـوضـع في الأ رض أو من فـوق عـمـدان
ومـا لـي مطبخ أو مـخـد ع أو بهـو ضـيـفـان[2]
ولا زاويـــــة إلا وفـيـهـا الكتب تلقـانـي
أبـى لـلـنـفـس دعـــواهـا ولـم يسـمـع لجـثـمـان

(١) الطنان : الذائع والمبالغ فيه.
(٢) ضيفان : ضيوف.

فلا سهرة أحباب ... ولا جلسة ندمان

فما أجهله بالخلق ... ذاك العالم العاني!

أين الناس يحتا ... ج إلى علمٍ وبرهان؟

وهم عميان ظلماء ... سروا في إثْرِ عميان؟

كثير لك يا إنسا ... ن في دنياك عينان!!

* * *

وأما الخامس الجاني ... فناهيك بشهوان

فما زودني إلا ... بأثداء وأعكان[1]

وهتَّاف بألحانِ ... وسُمَّار على الحان

إذا أمسيت مساني ... بأشكال وألوان

على الأبواب ما يرضـ ... ـيك من حسن وإحسان

ومن صون لأسماع ... ومن غض لأجفان[2]

فلا تنظرهُمُ ثَمَّةَ ... وانظر بين أحضاني

(١) أعكان : جمع عكن وهو ما تثنى من لحم البطن بسبب السمنة.
(٢) غصن الأجفان : إغلاق العيون.

فـيـا للـه كم فـي الأ رض مـن غِـيٍّ وغُـيَّـان[1]
وكم فـي القـوم مـن مـخـد وع آبـاء وإخـوان
وأزواج وأصـهـار وخـلان وأخـدان[2]
لـو أنـي قـلـت مـا أدري لـهـدوا كـل أركـانـي
فـنـعـم الـصـمـتُ والحكمـ ـةُ يـا صـخـري وصـوانـي!

***

وكم صـاحـبـت مـن أصـ ـحـاب آداب وأديـان
تجـافـوا وصـمـةَ العـاصـي وعـافـوا شـهـوة الزانـي[3]
وبـاتـوا بـين قـربـان وتـرتـيـل لـقـرآن
ولـم يَـأسَـوْا مـن الـد نـيـا عـلى غـبن وحـرمـان
إذا مـا شَـرفَـتْني زمـر ةٌ مـنـهـم بـصـحـبـان
حسـبـت الأرض تجـفـوني فـأنـسـاهـا وتـنـسـانـي
وقـالـوا الجـان لا تقـر ب مـن مـجـلس فـرقـان

(١) ألغى : الضلال. غُيان : جمع غوتى : الضال غير المهتدى. (٣) عافوا : كرهوا وتجنبوا.
(٢) الأخوان جمع خدن : الصديق والرفيق.

فقد ألفيت بعض الإنـ ... س في العنصر كالجان[1]
ولكن شر ما آو ... يت في لؤم وعصيان
رياء الخائن العادي ... على أهل وأوطان
تلقّاهم بتمويه ... ولاقوه بإيمان
وفي حجرة أسراري ... وفي ظلمة أوْكاني[2]
يبيع الحوزة الكبرى ... بِربْعٍ أو ببستان
ويعطي الحق والذمـ ... ـة والفتيا بأثمان
ويمشي بين قتلاه ... رفيع الذكر والشان

***

ولم أحمد من الضيـ ... ـفان ضيفاً مثل فنان
تولاني بإبداع ... من الفن وإتقان
وغطى كل جدراني ... بمنضور ومزدان
وأوحى الحسن واستو ... حاه من جنات رضوان

(١) ألفيت : وجدت.
(٢) أوكان : جمع وكن : المأوى والعش.

فحينا حسن مكسوٌّ وحينا حسن عريان

بريئا في سماء الفـ ـن من عيث وأدران[1]

وفتانا على الحا لين لكن أي فتان

كما تفتنك الزهـ ـرة في أعطاف أغصان

***

جموع لست أحصيها ولو دونت ديواني

ومثلي كل جاراتي ومثلي كل جيراني

عرفت الناس أشتاتا بلا عد وحسبان

فلم أعرف أأعدادٌ هُم أم جمع أقران؟

إذا ما اختلفوا في سيمة تبدو وشغلان[2]

فهم في الموت أشباه وفي سقم وأشجان

وما منهم فتى إلا بكى حينا وأبكاني

مساكين فلا تحفل من الناس بإنسان

(١) العيث: الفساد والتشويه. أدران: قاذورات وشوائب.

(٢) سيمة: شكل وصورة. شغلان: عمل.

ولا تحسد فتى منهم ... على بأس وإمكان

فأعلاهم وأدناهم ... أمام الغيب صنوان[1]

***

نزيل المنزل الخالي ... ألا تعرف عنواني؟

إذا ما طفت حوليه ... فثق أنك تلقاني

فما من منزل إلا ... وفيه بعض ألواني

تأمل في نواحيه ... وراقبه بإمعان

ولا يخدعك صمت فيـ ... ـه أو تفتيح بيبان

ولا تحسبه خلوا من ... مغاليق وأكنان[2]

إذا ما كنت مستحضر ... أرواح وحدثان[3]

فقف في المنزل الخالي ... وأرهف سمع يقظان

وأغمض فيه أجفا ... نك وانظر غير وسنان

---

(١) صنوان : مثنى صنو أى شبيه. (٣) حدثان الدهر : أحداثه ومصائبه.

(٢) أكنان : جمع كنّ والمقصود به المأوى والكهف والسّاتر.

تر الأطيـــاف أفــواجـــا وتســـمع مـــوج طوفـــان

وتجـــمع كل مـــا يُجـــمع مـن ربح وخـــــــــســـــــران

ولا يـــخـــطـــئـك تـــاريـــخ ولا دارس أزمــــــــــان[1]

(١) دارس أزمان : الأزمان الماضية والبعيدة العهد.

عسكري المرور

مـــتـــحكمٌ في الراكـــبين ومـــالـــه أبداً ركـــوبة

لـهـم المثـــوبـة مـن بـنـا نك حين تأمـر والعـقـوبة

مـر مـا بدالك في الطريق ورُضْ على مَهل شعوبه[1]

أنـا ثـائـر أبـداً ومـــا في ثورتي أبداً صـعـوبة

أنـا راكب رجلي فـــلا أمـرٌ عليّ ولا ضـريبـة

وكـــذاك راكب رأســه في هذه الدنيـا العـجـيـبـة

(١) رُضْ : درِّب ووجِّه، من الترويض والتدريب.

كوكب الشرق[1]

هلّل الشـــرق بالدعـــاءْ | كـوكب الشرق في السمـاء
عـــاد في حلة الضـيــا | ء، وفـي هالة البـــهـــا ء
لـم يَغـب هـاجـــــراً ولـ | ـكنْ كـمـا غـربّت ذُكـا ء[2]
لا تـخـــافـــوا على مطا | لعـــــه سطوة المســـا ء
واهــبُ الـــنـــور لا يــدا | ريه عـن نـوره غــــشـــا ء
كـــوكب الشــرف في أمــا | ن من الـلـيـل لا مـــــرا ء

* * *

يا عــروس الســمـــاع لبــا | ك من يســـمع الدعـــا ء
وشـــفى أنفـســـاً لعـينيـ | ـك تسـبـتـــرخص الفـــدا ء
انـظـري في وجـــــوهـهـم | تعــرفـي نـضــرة الوفـــا ء
كــلــهــم ود لــو يُـغـنــي | من البــشــر والصــفـــا ء
لـو بقـــدر الســـرور نشـ | ـدو غـلـبـنـاك بـالـغـنـا ء!

* * *

(١) قيلت في استقبال سيدة الغناء العربي أم كلثوم عند عودتها من رحلة علاجية في الخارج.
(٢) ذكاء : الشمس.

أمّ كلثوم يا بشير ... أً من الله بالرجاء

أنت من وحيه، ولله ... في الفن أنبياء

ذلك الصوت ـ صوتك الـ ... ـعذب ـ من عرشه نداء

فيه سرٌ من جنة الـ ... ـخلد لكنه ضياء

فيه ما يرفع الحجا ... ب وما يكشف الغطاء

فيه أنس لمن يشا ... ء وسلوى لمن يشاء

فيه للمرتجي سلا ... م وللمشتكي عزاء

فيه حرز من الهمو ... م وعونٌ على القضاء

أي نفس إذا تر ... نمت لا تهزم الشقاء؟

إنه قوةٌ إذا ... عز من قوة نجاء

إنه من غنى إذا ... حُسب الصوت من غِناء

إنه ثروة لمصر ... وما أجزل الثراء

مهرجانٌ لعيدها ... حيثما رفرف اللواء

وعلى الجرح إن شكت ... بلسم ناجع الشفاء

***

أيهــــا الكوكب الذي	أسـعـد الأرض باللقـا ء
رددي الطرف في الفضـا	ء، ومـا أرحب الفضـا ء
واسـألـيـه سـؤال من	يلحن الطيـر في الهـوا ء
هل سرى فيه مثل صو	تك في الحسن والنقـا ء
في قـديم الزمـان أعـ	ـنى وفي حاضـر سـوا ء
لا أحـاشي من الرجـا	ل قـبـيـلا ولا النسا ء[1]
لا تجـيـبي. أنا المجيـ	ـب، ولم أغلُ في الثنا ء[2]
أنتِ كالشمس لا تُعدّ	د في هذه السـمـا ء

(١) لا أحاشى : لا أستثنى.

(٢) لم أغْلُ : لم أبالغ.

الكروان

هل يسمعون سوى صدى الكروان صوتاً يرفرف في الهزيع الثاني

من كل سار في الظلام كأنهُ بعض الظلام تَضله العينان

يدعو، إذا ما الليل أطبقَ فوقهُ موجَ الدياجر، دعوةَ الغرقان

ويشبّ في الجو السحيق كأنه يبغي النجاة إلى حمى كيوان(1)

عاف التجمل فهو في جلبابه فانٍ يرتل كالأبيل الفاني(2)

ما ضرَّ من غنّى بمثل غنائه أنْ ليس يبطش بطشة العقبان

إن المزايا في الحياة كثيرة الخوف فيها والسُّطاسيان(3)

***

يا محييَ الليل البهيم تهجّداً والطيرُ آوية إلى الاوكان

يحدو الكواكب وهو أخفى موضعاً من نابغ في غمرة النسيان

قل يا شبيهَ النابغين إذا دعوا والجهل يضرب حولهم بجران(4)

(1) كيوان : نجم في السماء. (3) السّطا : البطش والسطوة والجبروت.

(2) عاف : كره وعزف عن. الأبيل : الراهب المتنسك. (4) الجران: باطن العنق من البعير، والمراد استقر وثبت.

كم صيحة لك في الظلام كأنها دقـــات صـــدرٍ للدجنّة حـــان
هن اللغات ولا لغاتِ سوى التي رفـعت بهنَّ عـقـيـرة الوجـدان
إن لم تقـيـدها الحروف فـإنهـا كـــالوحي ناطقـة بكل لسـان
أغنى الكلام عن المقاطع واللُّغى بثُّ الحزين وفرحة الجذلان[1]

* * *

إنني لأســمع منك إذ ناديتني مـعنىً يقـصـر عنه كل بيـان
لا عيب أنك في لسانك أعجم إذ كنتَ ناطقَ مـهـجـة وجنان
والجـاهلون بسـر مـا رجّـعـتـه من نغـمـة مـأثورة ومـعـان
لا يسـمـعـون بسـر بين جنوبهم صـمـاً وإن كـانوا ذوي آذان

* * *

يا ساليـاً يشـكو ويصدح وحده علّم سـمـيـرك راحـة السلوان
جهلٌ لعمرك أن يطوِّع صاحباً من جاهرته النفس بالعصيان
املك هواك فإن أطقت فَلَمْ فتى خـان الوداد ـ فلستَ بالخـوّان

(١) اللغى : اللغات. بث الحزين : شكواه وبوحه.

الكروان المجدد

زعموك غير مجدِّد الالحان ... ظلموك، بل جهلوك، يا كرواني

قد غيرتك ـ وما تغيِّر شاعراً ... عشرون عاماً ـ في طراز بيان

أسمعتني بالأمس ما لا عهد لي ... بسماعه في غابر الألحان

ورويت لي بالأمس ما لم ترده ... من نغمة وفصاحة ومعان

* * *

شكواي منك، وإن شكرتك، أنه ... سرٌ تصرُّ به على الكتمان

شكري إليك؛ وإن شكوتك، أنه ... سرٌ تؤخره لخير أوان

كنز يصان فهاتِ من حباته ... ذخر القلوب وحلية الآذان

* * *

أنا لا أراك! وطالما طرق النُّهى ... وحيٌ، ولم تظفر به عينان

أنا في جناحك حيث غاب مع الدجى ... وإن استقر على الثرى جثماني

أنا في لسانك حيث أطلقه الهوى ... مرحا، وإن غلب السرور لساني

أنا في ضميرك حيث باح فما أرى ... سراً يغيّب به ضمير زماني

أنا منك في القلب الصغير، مساجلٌ خفق الربيع بذلك الخفقان

أنا منك في العين التي تهب الكرى وتضن بالصَّحَوات والأشجان

طِرْ في الظلام بمهجة لو صافحت حجر الوهاد لهمَّ بالطيران

تغنيك عن ريش الجناح وعزمه فرحات منطلق الهوى نشوان

فرحات دنيا لا يكدر صفوها بالمين غير سرائر الإنسان

* * *

علمتني بالأمس سرك كله : سرُّ السعادة في الوجود الفاني

سرُّ السعادة نفرة ومحبةٌ فيكم تؤلف نافر الأوزان

الكون أنتم في صميم نظامه وكأنكم فيه الطريد الجاني

أنتم سواءٌ كالصديق وبينكم بعدٌ كما يتباعد الخصمان

لا يحمل الطيار وزر العاني حمل ابن آدم عثرة الإخوان

لا عالمٌ منكم ولا متعلمٌ كلا ! ولا متقدم أو وان

متشابهين على الحياة فكلكم ساري ظلامٍ، هاتف بأغان

متفرقين على المقام ودأبكم عند الرحيل تجمّع القطان

وكأنما نُسختْ لكلٍ نسخة من هذه الأجواء والأوطان

فهو الشريك على نصيب واحدٍ وهو الوحيد فما له من ثان

ذخر الطبيعة منه تُعطَوْن الحجى   لا من سباق بينكم ورهان

***

أنتم بني الطير المسبّح في الدجى   فيكم كهانة صالح الكهان

بعتم كرى الغافي وطيبَ رقاده   وبه اشتريتم يقظة اليقظان

قل ما اشتهيت القول يا كرواني   في لهو ثرثار وحلم رزان

سأعيش مثلك لي وللدنيا معاً   وأقول مثلك كيف يزدوجان

وأظلُّ تزدحم الحياة بمهجتي   أبداً ويجتنب الزحام مكاني

في عزلة أنا والحبيب تؤمنا   دنيا الجمال، ونحن منفردان

الليل يا كروان

اللـيـلَ يـا كـــــروان		بشــــراكَ طاب الأوان
بشراك؟ بل أنت بشرى		تهـــفـــو لهـــا الآذان
سـهـران فـي الليل شاد		فكلنا ســـهــــران
وان تكن أنت حلمـــاً		فــكــلــنــا وسـنـان
وسنان لم يســهُ قلب		لـه ولا أجـــفــــان
النوم في الصـيف وزرٌ		وفي الهــوى كـفــران

***

اللـيـلَ يـا كـــــروان		مـــا أنت والنسـيــان
حـاشـاك مـا أنت ساهٍ		عنه، ولا كــســـلان
الليـل ذكـــرى وأنت المـ		ـذكـــر اليــــقظان
لـكـنـمـــــا أنت روحٌ		وهــل لــروح مـكـان؟
بينا يقـــال قـــريبٌ		كـــأنه الـوجــــدان
إذا بـه فـي صـــــداه		كـــأنه كـــيـــوان[1]

***

(١) كيوان : نجم فى السماء.

إن كان في السمع طيفٌ فـأنت يا كـروان
صـوت ولا جـثـمـان لحن ولا عـيـدان
كـأنـه هاتف فـي فـضـائه حـيـران
أو رجع صـوت قـديم يعـيـده الحـسـبـان

***

الليـل يـا كـروان فـأين منك البـيـان؟
ليـل الطبـيـعـة صـمتٌ وأنت فـيـه لسـان
وظلمـةُ الليـل سـرٌّ فـاقـرأه يا ترجـمـان
مـا في الظلام ظلام الحـ ـيـاة لو يُسـتـبـان
إلاّ صـيـاح اشـتـيـاق تـروضـه ألحـان
نصف الحيـاة اضطرابٌ ونصـفـهـا أوزان

***

الليل والصـيف والحب كـلـهـن أوان
وأنـت مـنـهـن طـراً على وعـودٍ تصـان
خـذ صـمـتـهن وصـغـه شـدواً له سـريان

غص في قرار الدياجي فللدجى شطآن
واستقبل النجم علْوا إن النجوم حسان
وخذ من الصيف ناراً لا يعتليها دخان
وارقص مع الحب دوراً دارت له الأكوان
في الأرض بيتك ثاوٍ وفي السماء افتنان .
وبين ذلك ملهى للحب، بل ميدان
واللهو في الحب فاعلم كالحرب يا كروان
عليك من ذا ومن ذا يا ابن الليالي أمان
شادي الغرام له من سكر الغرام ضمان
والصبح أول مَرسى يرتاده الرُكبان
ألا تَزاورَ عنه في الرحلة الرّبان؟![1]
وما ارتضاه ولكنْـ ـما الزمان زمان
فاملأْ من الليل نفساً عزيزةً لا تُهان
لا هتفةٌ فيه تبقى إلى غدٍ أو أذان
الليل يا كروان! الصبح يا كروان!

(١) تزاور : أعرض وابتعد.

غن يا كروان

قم غن يا كـروان غنٍّ   وتمنَّ في الدنيـا ومنِّي

وأمن دجـاك وإن عـرفـ   ـتك في الحـيـاة قليل أمن

فـيم المخـافـة يا سـمـيـ   ـر الليل أو فـيم التـجني؟

لا أنت جـزل في الصـحـا   ف ولست في قـفص تُغنّي

كـلاًّ ولا في خـافـقـيـ   ـك الحـائلين بريقُ حـسن

والصـقـر نام وأنت وحـ   ـدك تمدح الدنيـا وتثني

لك كل مـا دون الكوا   كب من سـماك الليل مبني

فـأمن زمـانك أو فـخف   فـالطبع دون الرأي يغني

إني إخـالك لو أمنـ   ـت لما هتـفت لنا بلحن

مـا أحـب الكروان!

مـا أحب الكروان !

هل سـمـعت الكروان؟

***

موعدي يا صاحبي يوم افترقنا   حيث كانت جيرةٌ أو حيث كنا

هاتف يهـــتف بالأســـمـــاع وهناً

هو ذاك الـكروان، هـو هذا الـكروان!

* * *

الـكراويـن كـــثــيـــر أو قـليـلْ عندنا أو عـندكم بين النخـــيـلْ

ثَمّ صـــوتٌ عـــابرٌ كلَّ ســبـــيـلْ

هو صوت الكروان، في سبيل الكروان

* * *

لي صدى منه فلا تنس صداك هو شـــاديك بـلا ريبٍ هناك

فـــإذا مـــا عـــسـعس الليل دعـــاك

ذاك داعي الكروان، هل أجبت الكروان؟

* * *

مـــفـــردٌ لكنه يـؤْنسنا ســـاهرٌ لـكنـه ينعـــســنا

صـدحت في نفـســـه أنفـسنا فتسامعنا سواء، وسمعنا الكروان!

* * *

واحـــدٌ أو مـــائة ترجـــعـــه عـندنا أو عندكم مطلعـــه

* * *

ذاك شيءٌ واحــد نســمــعــه

في أوان وبيــان، هو صــوت الكروان

واحـدٌ بين عـصـور وعـصـور نحن نستحيي به تلك الدهور

لم يفـتـنا غــابر الدنيــا الغــرور

في أوان الكروان، مــا أحب الكروان!

آه من التراب

أين في المحفل «ميّ» يا صحابْ؟[1]

عودتنا ها هنا فصل الخطابْ

عرشُها المنبر مرفوع الجناب

مستجيبٌ حين يُدْعى مستجاب

أين في المحفل «ميّ» يا صحاب؟

* * *

سائلوا النخبة من رهط النديّ

أين ميّ؟ هل علمتم أين ميّ؟

الحديث الحلو واللحن الشجيّ

والجبين الحرّ والوجه السنيّ

أين ولّى كوكباهُ؟ أين غاب؟

* * *

(١) ميّ زيادة : اسم أدبي مستعار للأديبة الكاتبة ماري بنت إلياس اللبنانية الأصل، عاشت بين عامي ١٨٨٦ ـ ١٩٤١. انتقلت مع والديها إلى مصر بعد أن تلقت تعليمها الأول في فلسطين ولبنان، وأخذت تكتب في جريدة المحروسة ومجلة الزهور وكان لها منتدى أدبي شهير كان يقصده صفوة الأدباء في عصرها ويعقد بدارها كل ثلاثاء، كما كانت تربطها بالشاعر وبغيره من نجوم الأدب والفكر في زمانه علاقة وثيقة. لم تتزوج، وفي أخريات حياتها غلبها الحزن والاكتئاب بعد وفاة والديها.
من أشهر مؤلفاتها: باحثة البادية، مد وجزر، سوانح فتاة، الصحائف، كلمات وإشارات، ظلمات وأشعة، ابتسامات ودموع. ولها شعر كتبته بالفرنسية. وهذه القصيدة تصور فجيعة العقاد برحيل ميّ.

أسف الفن على تلك الفنون
حصدتها، وهيْ خضراءُ، السنون
كلٌّ ما ضمته منهن المنون[1]
غصصٌ ما هان منها لا يهون
وجراحات، ويأس، وعذاب

***

شَيمٌ غُرٌّ رضيّات عِذابْ[2]
وحجى ينفذ بالرأي الصواب[3]
وذكاءٌ ألمعيّ كالشهاب
وجمال قدسي لا يُعاب
كل هذا في التراب. آه من هذا التراب!

***

كل هذا خالدٌ في صَفَحات
عطرات في رباها مثمرات
إن ذوت في الروض أوراق النبات
رفرفت أوراقها مزدهرات
وقطفنا من جناها المستطاب[4]

***

(١) المنون : الموت
(٢) الشيم : جمع شيمة: الخلق الكريم. غُرّ: جمع غراء، المشرقة والمتألقة، عذاب : عذبة.
(٣) الحجى : العقل.
(٤) الجنى : الثمر.

من جنــــاها كـلّ حـسن نشـتـهـيـه
مـتــعــة الألبــاب والأرواح فـيــه
ســائغ مُــيِّــز مِنْ كل شــبـيــه
لـم يــزل يحـسـبـه مَنْ يجـتنيـه
مُــفْــرَدَ المنبت مـعــزول السـحـاب

* * *

الأقــاليم التي تُنْمـيــه شَـتّى[1]
كـل نبـت يانـع ينـجب نبـــتـا
من لغـــات طوّفت في الأرض حـتى[2]
لم تدَع في الشــرق أو في الغـرب سَـمْـتـا
وحــواها كلهـا اللبُّ العــجـاب[3]

* * *

يـا لـذاك اللـب من ثـروة خِــصْـب
نـيِّــرٍ يقــبس من حس وقَلْب
بين مــرعىً من ذوي الألبــاب رحب
وغنىً فــيـه، وجُــودٍ مــسـتَـحـب
كـلمـا جــاد ازدهى حُــسناً وطاب

* * *

(١) تنميه : تغذيه وتقويه.
(٢) يشير العقاد إلى إجادة «ميّ» لعدد من اللغات الأجنبية.
(٣) اللب العجاب : العقل المثير للإعجاب والدهشة.

طَلْعهُ الناضر من شعر ونثرِ[1]
كرحيق النحل في مطلع فجرِ
قابل النورَ على شاطيء نهرِ
فله في العين سحر أيّ سحرِ
وصدى في كل نفس وجواب

* * *

حيٍّ «ميّاً» إن مَنْ شيع ميا
منصفاً حيّا اللسان العربيا
وجزى حواء حقاً سرمديا
وجزى ميّا جزاء أريحيا
للذي أسدت إلى أم الكتاب[2]

* * *

للذي أسدت إلى الفصحى احتسابا
والذي صاغته طبعاً واكتسابا
والذي خالته في الدنيا سرابا
والذي لاقت مصاباً فمصابا
من خطوب قاسيات وصعاب

* * *

(١) الطلع : الثمر ويقال طلع النخل : ثمره.
(٢) أم الكتاب : هي اللغة العربية.

أتُــراهـــا بعــد فـقــد الأبـويْــن

سلمت في الدهر من شــجــوٍ وبَيْن[1]

وأسىً يظلمــهــا ظلم الحــسين

ينطوي في الصــمت عن ســمع وعــيْن

ويذيب القلب كـالشــمع المــذاب

* * *

أتــراهـا بعــد صــمت وإبـــاءْ

سلمت من حــســدٍ أو من غــبـاءْ

ووداد ٍكلّ مــا فــيــه ريـــاءْ

وعــداءٍ كل مــا فــيــه افــتــراءْ

وســكونٍ كل مــا فــيــه اضطــراب

* * *

رحــمــة الله على «ميٍّ» خــصــالا

رحــمــة الله على «ميٍّ» فــعــالا

رحــمــة الله على «ميّ» جــمــالا

رحــمــة الله على «ميٍّ» ســجــالا[2]

كلمــا سُــجل في الطرس كــتــاب[3]

* * *

(١) الشــجو : الحزن الشديد والأسى المهلك. البــين : الغربة والاغتراب والبعاد.
(٢) السجال : الدمع المنهمر والدلو العظيمة والكتاب الذى دون فيه ما يراد حفظه.
(٣) الطرس : الصحيفة وورق الكتابة.

تلكُم الطلعة ما زلت أراها

غضةً تنشر ألوان حلاها

بين آراء أضاءَت في سناها

وفروع تتهادى في دجاها

ثم شاب الفرع والأصل، وغاب

***

غاب والزهرة تؤتي الثمراتْ

ثمراتٍ من تجاريب الحياةْ

خير ما يُؤتي حصاد السنواتْ

بعثرتهن الرياح العاصفاتْ

ورمتهن تراباً في خراب

***

رُدَّ ما عندك يا هذا التراب

كلّ لبٍ عبقري أو شباب

في طواياك اغتصاب وانتهاب

خُلقا للشمس أو شُمّ القباب[1]

خُلقا لا لا نزواء واحتجاب

***

(١) شم القباب : القمم العالية. شمّ : جمع شماء، والقباب : جمع القبة.

وَيْكَ ! مـــا أنت بـرادٍّ مـــا لـديك

أضـيعُ الآمــال مـــا ضـــاع عليك

مـجـدُ «ميٍّ» غـيـر مـوكـول إليك[1]

مـجـد «ميٍّ» خـالص من قـبـضـتـيك

ولـهـــا مـن فـضـلـهـــا ألف ثواب!

* * *

(١) موكول إليك : مسئوليته تقع عليك.

بيچو[1]

حزناً على بيچو تفيض الدموع

حزناً على بيچو تثور الضلوع

حزناً عليه جهدَ ما أستطيع

وإن حزناً بعد ذاك الوَلوع

والله - يا بيچو - لحزن وجيع

***

حزناً عليه كلما لاح لي

بالليل في ناحية المنزل

مسامري حيناً ومستقبلي

وسابقي حيناً إلى مدخلي

كأنه يعلم وقت الرجوع

***

وكلما داريت إحدى التحف

أخشى عليها من يديه التلف

ثم تنبهت وبي من أسف

(١) بيچو : هو كلب العقاد.

ألاّ يصيب اليوم منها الهدف ....

ذلك خير من فؤاد صديع

* * *

حزني عليه كلما عزني

صدق ذوي الألباب والألسن

وكلما فوجئتُ في مأمني

وكلما اطمأننتُ في مسكني

مستغنياً، أو غانياً بالقنوع[1]

* * *

وكلما ناديته ناسياً :

بيچو ! ولم أبصر به آتيا

مداعباً مبتهجاً صاغيا ...

قد أصبح البيت إذن خاويا

لا من صدى فيه ولا من سميع

* * *

نسيت؟ لا. بل ليتني قد نسيت

حسبتني ذاكرهُ ما حييت

(١) غانيا : مستغنيا.

لو جاءني نسيانه ما رضيت

بيچو مُعَزيَّ إذ ما أَسِيتُ[1]

بيچو مُناجِيَّ الأمين الوديع

* * *

بيچو الذي أسمع قبل الصباح

بيچو الذي أرقب عند الرواح

بيچو الذي يزعجني بالصياح

لو نبحةٌ منه، وأين النباح؟

ضيعت فيها اليوم ما لا يَضيع

* * *

خطوته.. يا بَرْحَها من ألم

يخدش بابي وهو ذاوي القدم

مستنجداً بي، ويح ذاك البَكَمْ!

بنظرة أنطقَ من كل فم

يا طول ما ينظر، ! هذا فظيع!

* * *

ثَمْ لا أرى النوم لعيني يطيب

(١) أسيتُ : شعرت بالأسى.

أنتم خـبـيـرون بنهش القلوب

يا آل قِطْمِيرَ هواكم عجيب[1]

غاب سنا عينيك عند الغروب

وتنقضي الدنيا... ولا من طلوع

* * *

نم واترك الأفواج يوم الأحد

والبحر طاغٍ والمدى لا يُحَدّ

عيناي في ذاك وهذا الجسد

بوحشة القلب الحزين انفرد

والليل، والنجم، وشعب خليع!

* * *

أبكيك، أبكيك وقلَّ الجزاء

يا واهب الود بمحض السخاء

يكذب من قال طعامٌ وماء

لو صحّ هذا ما مَحَضْتَ الوفاء[2]

لغائبٍ عنك، وطفل رضيع!

---

(١) «قطمير» هو اسم كلب أهل الكهف.
(٢) محضت الوفاء: أخلصت الوفاء بدون مقابل.

فهرس المختـــارات

القصيدة	الصفحة

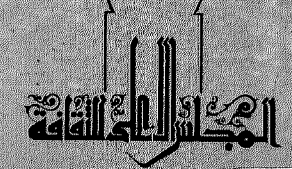
دواويـــن العـقــاد

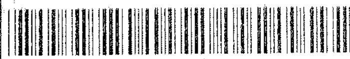
الـديـــوان	سنة الطبعة الأولى
١ ـ يقظة الصباح	١٩١٦
٢ ـ وهج الظهيرة	١٩١٧
٣ ـ أشباح الأصيل	١٩٢١
٤ ـ ديوان العقاد (يضم الدواوين الثلاثة السابقة + ديوان أشجان الليل)	١٩٢٨
٥ ـ وحي الأربعين	١٩٣٣
٦ ـ هدية الكروان	١٩٣٣
٧ ـ عابر سبيل	١٩٣٧
٨ ـ أعاصير مغرب	١٩٤٢
٩ ـ بعد الأعاصير	١٩٥٠
١٠ ـ ديوان من دواوين (يضم مقتطفات من الدواوين التسعة السابقة بالإضافة إلى قصائد جديدة)	١٩٥٨
١١ ـ ما بعد البعد (الديوان الوحيد الذى صدر بعد رحيل الشاعر، يضم أيضا مقالات كتبت في رثاء العقاد؛ جمعه وأعده للنشر عامر العقاد)	١٩٦٧



دواوين العقاد

- يقظة الصباح
- وهج الظهيرة
- أشباح الأصيل
- ديوان العقاد
- وحي الأربعين
- هدية الكروان
- عابر سبيل
- أعاصير مغرب
- بعد الأعاصير
- ديوان من دواوين
- ما بعد البعد





97756832094